هيباتيا

مصادرة الاعمال الابداعية
من الهواية إلى الاحتراف

جابر عصفور يكتب :
عزازيل شهادة على ثقافة مريضة

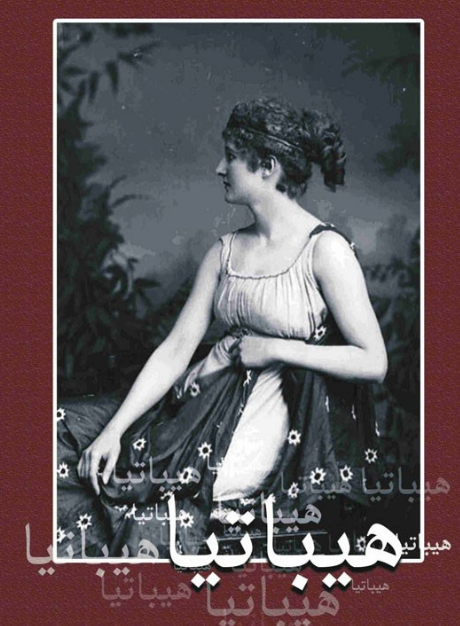
الانبا بيشوى يرد على عزازيل
ويوسف زيدان: لن انجرف إلى مجال دينى
بين الاسلام والمسيحية دفاعا عن عزازيل

شهادات لـ
عبد المنعم تليمة ووحيد عبد المجيد وحسام
لطفى وكمال مغيث وعبد المنعم رمضان

عمار على حسن يكتب: التطرف والابداع خصام وفصام

AFTE مؤسسة حرية الفكر والتعبير

هيباتيا نشرة غير دورية معنية بحرية الفكر والإبداع ◆ تصدر عن برنامج الرقابة ◆ العدد الأول – يونية ٢٠٠٩.



هيباتيا



مؤسسة حرية الفكر والتعبير
Association for Freedom of Thought and Expression

Tel: (+202) 333 084 41
Madient Adaa Hayet el tadris
Gamet el kaheraa - Giza - Blog 9 Apt 92

تليفون: ٣٣٣٠٨٤٤١(٢٠٢)
مدينة أعضاء هيئة تدريس جامعة القاهرة
عمارة ٩ الدور التاسع شقة ٩٢ – الجيزة.

E-mail:info@afteegypt.org
www.afteegypt.org

لماذا هيباتيا ؟

هيباتيا هي أول شهيدة للعلم يعرفها التاريخ، ولدت في الإسكندرية " مصر " حـــوالي عام ٣٨٠، واغتيلت في مارس ٤١٥ . وهي عالمة رياضيات ومنطق وفلك وفيلسوفه تنتمي للمدرســـة الأفلاطونية الجديدة. وكانت ابـــنة ثيون آخر زملاء متحف الإسكندرية الملحق بمكتبتها التي احترقت. وقد قام بطريرك الإسكندرية كيرليس الرابع المشهور بعمود الدين بتحريض جماهير من المسيحين المتطرفين على اغتيال هيباتيا حتى هاجت الجماهير وهبت عليها فلحقـــوا بها خلف عربتها وألقوها أرضا، وقاموا بتعريتها تماما، وسحلها في شوارع الإسكندرية وتذكر بعد التقارير أنه قد تم سلخ جلدها عن جسمها وإعدامها حرقا فيما كانت لا تزال حية، فيما ذكرت تقارير أخرى أن إحراقها ونزع جلدها عن بـــدنها تم بعد قتلها حتى أنفصل لحمها عن العظم ثم مثلوا بالجثة وحرقوها.

كانت جريمة هيباتيا أنها لم ترضخ لسلطة الكنيسة وأساطيرها وكهنتها، وتمسكت بحقها في العلم، وحـــريتها في التفكير والاعتقاد، وإصرارها على عدم مسايرة التيار الظلامى الصاعد بامتداد الإمبراطورية الرومانية، وذلك أن المتعصبين في ذلك الزمن رأوا في " هيباتيا" لب الفكر الوثني لما تحمله من أفكار فلسفية، وكانت هذه هي نهاية أول شـــهيدة علم في

الآراء الواردة فى النشرة لا تعبر بالضرورة عن آراء المؤسسة




المدير التنفيذي للمؤسسة :
عمـــاد مبارك

المحرر العام:
سيد محمـــود

كتاب العدد:
الدكتور جابـــر عصفـــور — الكاتب حلمي النمنم
الدكتور عمار على حسن

شارك فى تحرير العدد:
رشا حســـني — سمـــر نـــور
علا الساكت — محمـــد فرج

تتوجه مؤسسة حرية الفكر والتعبير بالشكر إلى مبادرة العدالة فى المجتمع المفتوح على دعمها لأنشطة برنامج الرقابة

طباعة الوادى ٠١٠٦٣٣٠٨٧١ ♦ الاخراج الفني : صابر جمال ♦ رقم الإيداع ٢٠٠٩/١٨١٤٣ ♦ العدد الأول يونية ٢٠٠٩

(عنصر التحقيق) ، ووفقا لأى نظام قانوني فالمبـــدع (المجرم) يستحق فى النهاية إلى من يدافع عنه (عنصر المرافعة) ثم أخيرا قـــرار القـــاضى المكتوب ورؤيته ما إذا كان العمل الإبداعى المعروض عليه يمثل مساســـا بالمقدسات أم لا (عنصر نص الحكم).

وبالدخول إلى هذه المرحلة تتحقق هزيمة مؤقتة للقوى التى تدافع عن حجة أن النقد ينبغى أن يصدر وفقـــا لالتزام العمل الأدبي أو الفكرى بـــالمعايير العامة التى تحكم هذا القلب، ومن ثم يبقى أمام المؤلفة البحث عن جدلية " البنية الفكرية للمحاكمات " .

وتحيل هذه البنية إلى تبـــين الخطوط العريضة لمساحـــات النزاع الأزلى في الثقافة العربية المعاصرة، بخصوص حدود حرية الرأى والتعبـــير عامة وفى المجال الأدبي بشكل خاص، ثم طبيعة القوى التى تحاول وضع هذه " الحدود " ، وأخيرا الإجابـــة عن ســـؤال وفى حـــالة تجاوز هذه الحدود، فمن هى المؤسسة أو الفاعل السياسي أو الاجتماعى الذي يحكم بأنه قد تم تجاوز هذه الحرية.

دراسة بعض نماذج المحاكمات الأدبـــية توضح أنه المتلقـــى الرافض للنص نصب نفسه حكما يفعل ما يشاء فى قراءة النص الإبداعى ، فيعمد إلى قراءة ذاتية ونسبية ومجزأة ومبتسرة من السياق. يحدث هذا إذا كانت المؤسســـة الدينية هى المتلقى فتنظر إلى نفسها كمرجعية دينية تساهم فى إنتاج قـــراءة النص، أما إذا كانت المؤسسة السياسية (حـــاكمة أو غير حـــاكمة) هى المتلقى فإنها تحاول جاهدة وضع حدود تحرم كشفها أو نقدها،

وكمثال على هذا التحقيق مع طه حسين الذي بدأ بموجب خطاب تقديم به شيخ الأزهر عام ١٩٢٦ للنائب العمومي يقول فيه إن كتاب " فى الشـــعر الجاهلى " يحمل تكذيب صريح للقرآن صراحة وطعن على النبي صلى الله عليه وسلم. ا

لمؤلفة تذكر أن التحقيق الذي أجرته النيابة العامة من خلال مذكرة النيابة العامة أرسى معنى للقراءة التأويلية والسجل كمفهومين للبحث المحاورة والمساءلة وقراءة النص الأصلى (فى الشـــعر الجاهلى) لفهم وتفســـير ما يدعيه الطرفان (الجهة المبلغة والمتهم).

كما أن منهجية النائب فى خطاب التحقيق نحت فى درب مختلف عما يجرى فى جل القضايا المعروضة على النيابة العامة، " إذا يأخذ الاســـتنطاق صفة سلطوية اتهامية تقوم على لا تكافؤ المستويات بين المتخاطبين، بـــين المتكلم (المحقق) من ناحية وبين المخاطب (المتهم) من ناحية ثانية".

وخلافا للنيابة العامة فى حال التحقيق مع طه حسين والتى عكســـت مناخ التنوير الذى كانت تحياه مصر فى عشرينيات القرن الماضى، يأتى التحقيق مع أحمد فؤاد نجم (بعد نصف قرن من تحقيق طه حسين) ليلقى الضوء على التحولات الثقافية التى شهدتها مصر .

ففى ١٩٧٤ جرى اتهام نجم فى القضية المشهورة بأسم " نيكســـون بابـــا " بسبب قصيدته (اللى حصل فى الحواصل) بإنضمامه إلى اليسار والشيوعية وتناول المخدرات والتحريض على قلب النظام .

فعلى العكس من خطاب التحقيق مع طه حسين ، يتخذ التحقيق مع نجم " شكلا عموديا " بحيث يمارس المحقق سلطته الاستنطاقـــية على المخاطب (المتهم)، ويقرأ قصيدة الشاعر على أنها " وثيقة تقـــريرية " تســـطح المعنى وتجزئه.

الخلاصة التى تطرحها الكاتبـــة من خلال محاكمات الفكر والأدب تعكس تكاتف مباشرة، وغير مباشر بين مؤسسات وقوى مختلفة لإجهاض حـــرية الرأى والتعبير فى عدد من الدول العربية وتعريض أشكال تعبـــيرية مختلفة لأنواع من المحن، من خلال دعم المؤسسة القـــضائية لأنواع التهم الموجهة لنصوص المبـــدعين والمفكرين بـــدعوى الحفاظ على الأمن والاستقـــرار والقيم".



سيد قطب فى رسم متخيل لما قبل إعدامه

حرية الفكر والإبداع

تاريخ طويل من القمع والمنع

مضت سنوات طويلة، ومازالت الملاحقات القضائية والتحقيقات النيابية، والمصادرة والقمع، محاولات مستمرة تحاصر المبدعين والمفكرين تؤدي إلي مزيد من العزلة والعتمة، تفرض على الجميع قيم ولغة وثقافة أحادية تنفي الأخر ، هذا النمط الذي يغلق كافة النوافذ في مواجهة التنوع وفعالية الحوار وتعدد الرؤى الثقافية، يقتحم خيال المبدعين والمفكرين بحثاً عن كلمات تخالف ما يطلق عليه النظام العام والآداب، والعرف والتقاليد والأخلاق تلك الكلمات التي تعيد إلي الأذهان دراما محاكم التفتيش.

صراع دائم عبر تاريخ طويل تتعالي فيه من ناحية الأصوات القامعة محتميا بترسانة هائلة من القوانين والتعليمات الرقابية اللقيطة التي لا نسب لها من الدستور أو الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، ومن ناحية أخري تنطلق صراخات حادة مقموعة من مفكرينا ومبدعينا في محاولة للدفاع عن حقهم في انتهاج الوسائل التي يروها أكثر فاعلية في تواصل رؤيتهم للواقع.

وبين هذا وذاك تقف المؤسسات الحكومية بالمرصاد للمفكرين والمبدعين من خلال أجهزتها الرقابية التي منها الإدارة العامة للرقابة على المصنفات الفنية " وزارة الثقافة" ، وإدارة الرقابة على التليفزيون " وزارة الإعلام "، وإدارة البحوث والترجمة والنشر " مجمع البحوث الإسلامية " ، وبالطبع لا يمكن أن يغيب الشرطي عن التواجد فى هذا المسرح، وهنا يرتفع نصيب كلمات مثل مصالح الدولة العليا ليصبح سيف مسلط على رقبة المبدعين والمفكرين .

وهكذا تتخلي عن أو تتجاهل الحكومة المصرية التزاماتها بضمان وحماية حرية الفكر والإبداع الذي كفله الدستور والاتفاقيات الدولية الملزمة للحكومة المصرية.

وانطلاقا من إيماننا بأن حرية الفكر والإبداع في حياة الأمم إثراء لا ترفا، باعتبارها أداة ارتقائها، حيث يعيد تشكلها ويطرح أبعاد جديدة لها، وأن حرية الإبداع يجب أن تكون محل تقدير الأمم على تباين مذاهبها وتوجهاتها.

ولأننا نؤمن بما أقرته المحكمة الدستورية العليا من أن حرية التعبير لا يجوز أن يتم فصلها عن أدواتها، وأن وسائل مباشرتها يتعين أن ترتبط بغاياتها، فلا يعطل مضمونها أحد ، ولا يتصور بالتالي أن يكون الإبداع على خلافها، إذ هو من مداخلها، بل تعتبر المحكمة الدستورية العليا أن قهر الإبداع يمثل عدوان مباشر على حرية الرأي والتعبير، بمعنى أن حرية التعبير عن الآراء ونشرها بكل الوسائل التي نص عليها الدستور فى المادة ٤٧ ، أنما تمثل الإطار العام لحرية الإبداع والبحث العلمي التي بلورها نص المادة ٤٩ بما يحول دون عرقلتها، بل ويجب توفر وسائل تشجيعها لنفاذ محتواها ليكون ضمانها التزاما على الدولة بكل أجهزتها.

هذا هو مفهومنا عن حرية الفكر والإبداع سواء كان عمليا أو فنيا أو ثقافياً أو أدبياً ليس إلا موقفا حرا واعيا يتناول ألوانا من الفنون والعلوم تتعدد أشكالها ، وتتباين طرق التعبير عنها، فالإبداع هو عملاً ذهنيا وجهدا خلاقا ينتشر ليكون مؤثرا في حياة الأمم.

ونظرا لأهمية حرية الفكر والإبداع في تطور حياة الأمم ، تسعي مؤسسة حرية الفكر والتعبير عبر " هيباتيا" دراسة الواقع المصري وتحليل الإشكاليات التي يتعرض لها المبدعين والمفكرين والاشتباك معها في محاولة لفتح النوافذ المغلقة.

ونبدأ في العدد الأول من " هيباتيا" بتناول قضايا الرقابة على الأعمال الأدبية والمطبوعات، علي أن تتناول الإعداد القادمة الرقابة على السينما والمسرح والتليفزيون، والرقابة على الصحف والإنترنت، وأيضا الرقابة على الأعمال الفكرية بالجامعات المصرية.

◆ عماد مبارك



مجموعة من النشطاء والمهنيين يعملون بمؤسسة قانونية مستقلة نشأت عام ٢٠٠٦ تحت أسم مؤسسة حرية الفكر والتعبير، وتهتم المؤسسة بالقضايا المتعلقة بتعزيز وحماية حرية الفكر والتعبير.

عن برنامج الرقابة

يأتي أهتمام المؤسسة بإنشاء برنامج الرقابة، نتيجة إهتمامها بحرية الفكر والإبداع سواء كان " علميا أو فنيا أو ثقافياً أو أدبياً " وذلك لما تتعرض له تلك المجالات من رقابة مستمرة وقيودة عديدة، تتبع مصادر عدة منها ما يتعلق بالسلطات الحكومية الرسمية، ومنها ما يرتبط بالمؤسسات الدينية، هذا إلى جانب تلك القيود التي يفرضها المجتمع ذاته لما يتسم به من ثقافة تقليدية تستند بالاساس إلي مقولات الفكر الديني المنغلق فى أغلب الأحيان.

المصادرة..
من الهواية إلي الاحتراف

◆ حلـــمي النمنم
مدير تحرير مجلة المصور




يوسف البدري

لم تعد المطالبة والتلويح بمصادرة كتاب، حالات فردية، بل تكاد أن تكون ظاهرة في حياتنا الثقـــافية، ولدينا أسماء ومجموعات تخصصت في الضغط على الجهات الرسمية للتدخل بالمصادرة، فإن لم تنجح الضغوط لجئوا إلي النيابة العامة والقـــضاء، ولفترة كانت غواية المصادرة تتجه إلي الأعمال الإبداعية، الشعر والرواية والقصة القـــصيرة وربما المســـرح، لكنها مع تفشي الظاهرة باتت تشمل حتى الدراسات العلمية والنقـــدية، ومؤخرا هدد أحد المحامين بمقاضاة الثقافة الجماهيرية "لأنها نشرت كتاب د.أحمد حسن الصاوي عن المعلم يعقوب، رغم أن الكتاب صدر أول مرة ســـنة ١٩٨٩، ورغم أن الجدل الفكري والتاريخي قديم وسوف يستمر حول شخصية المعلم يعقوب".

الآن تجاوز الأمر المطالبة بمصادرة العمل، فحين نشرت مجلة إبداع قصيدة حلمي سالم "شرفة ليلي مراد" تم سحب عدد إبداع وصودرت القصيدة منه، لكن ذلك لم يكن كافيا في نظر البعض، حـــيث لجئوا إلي القـــضاء مطالبين بسحب ترخيص المجلة ذاتها، ونالوا حكما قـــضائيا بهذا المعنى، صحيح أنه تم الطعن على الحكم من قبل وزارة الثقـــافة، لكن في النهاية لدينا حكماً بسحب ترخيص المجلة.

وليس صحيحـــا ما يزعمه هواة المصادرة "المحتســـبون الجدد" من أنهم يتصدون للأعمال التي تصدرها مؤسسات وهيئات رسمية فقط، بدعوى أن هذه المؤسسات تقـــوم على المال العام ولذا لا يجب أن تصدر ما يمس الثوابت العامة، كما يفهمونها هم، فالوقائع تؤكد أنهم يتربصون كذلك بالأعمال التي تصدر عن مؤسســات خاصة أو حـــتى التي يصدرها كتاب على نفقتهم الخاصة، كما في حالة "مترو" وأعمال سيد القمني والمستشار سعيد العشماوى ود. نوال السعداوى وغيرهم، بل إنهم يتربصون حتى بالكتب الواردة من خارج مصر، أي من دور نشر عربـــية، والوقـــائع عديدة.

هواة المصادرة وأعداء حرية التعبير يتنوعون، فيهم المسلم والمسيحـــى، مدنيون ورجال دين، باختصار تشكيلة تضم المحامى والصحفى والشيخ والقس وعضو البرلمان وأستاذ الجامعة. وتشعر أنهم يتحســـــون أنوفهم باستمرار تجاه كتاب صدر أو قصيدة كتبـــت أو فيلم ســـينمائي يجرى الإعلان له.

ويبدو الأمر وكأنه "فيروس" يتمدد وينتشر، في البـــداية كان الشـــيخ يوسف البدري ومعه مجموعة من المحامين يتحلقون حوله،وكانت جبـــهة علماء الأزهر، بدعوى الغيرة على الثوابت الإسلامية، ولجأ البعض ربما من باب المكايدة إلي مجمع البحوث الإسلامية وانســـاق عدد من أعضاء المجمع في هذا الفريق، وهنا كان لابـــد أن يظهر كذلك محتســـــبون من الأقبـــاط يعلنون غيرتهم وألمهم من ازدراء يتعرضون له أو تمييز يرون أنه يقع بحقهم، وأخذ الأمر شـــكل البحـــث عن رضاء عوام الناس، فدخل أعضاء البرلمان المجال، استجلاب لتصفيق الجماهير، وهكذا تدور الدائرة الجهنمية.

ولابد من الاعتراف بوجود عدة عوامل أدت إلي تفشي تلك الحالة بيننا، في مقدمتها أن الحرية الفكرية وحق الكاتب في الإبداع، لم تصبـــح بـــعد قيمة عليا في حياتنا، بعضنا لا يؤمن بهذه الحرية أساسا، وبـــعضنا يرى أنها ترف يتشدق به بعض المثقفين، وأن القضية الأولي هي أن يجد الناس قوت يومهم ومسكنهم، وكأن هذه تناقـــض تلك، ولذا ليس غريبـــا أن نجد صحـــفيين ومحامين وأســـاتذة جامعة مفترض أن الحرية شـــرط ضرورة لممارسة عملهم، يتصدون للحرية الفكرية، بدعاوى الحفاظ على ثوابت الأمة، والأنصاف يقتضى القول أن الحرية الفكرية لم تكن قيمة عليا يوما ما أو في مرحلة بعينها، لكن كان هناك نخبة في المجتمع يسعى أفرادها لجعل الحرية قيمة عليا ويدافعون عنها، وقد ضربت هذه النخبة في أزمة مارس ١٩٥٤، حين تم فصل ٢٥ أستاذا من الجامعة لأســـباب سياســـية، وتم الهتاف ضد الديمقراطية في مظاهرة حاشدة بشـــوارع القـــاهرة في نفس السنة، بـــعدها صارت الأولوية الأولي للعدالة الاجتماعية وتوفير رغيف العيش، ثم جاء شـــــعار "لا صوت يعلو فوق صوت المعركة"، وتوالى التراجع التام للحـــرية، لم يكن غريبـــا أن تظهر التيارات المتشـــــددة والسلفية، التي تسعى إلي تكفير ورفض أى رأى مغاير لما تقول به.

والمؤكد أن وجود هذه التيارات، خلق حـــــالة من المزايدة الدينية – إن صحت التسمية – كما حدث في الدعوى التي رفعها الشـــيخ يوســـف البدرى ضد الشيخ عبد الصبور شاهين، ومع وجود أفراد غير معنيين لأداء أدورهم، دخلوا هذه المزايدة، ضد حرية الفكر والإبـــداع، مثلاً عضو بمجلس الشعب مهمته الرقابـــة على الحكومة والتشـــريع، لكنه أضعف من الأولي وأجهل من أن يقوم بالثانية، وهو يريد أن يقدم شـــيئا للجمهور العام يبدو به وكأنه يؤدي مهمة مقدسة ويستحـــق أصواتهم، فتكون المطالبة بمصادرة كتاب، ومحام يريد أن ينال شهرة فيفعل الشـــئ نفسه، وهكذا تكتمل الدائرة بوجود بيئة قانونية تتيح لمن يريد أن يعصف بالحرية الفكرية، أن يفعل ذلك بيسر الآن، هناك مواد سالبة للحـــرية في القانون المصري، تتيح لبعض المحامين النفاذ بين ثغراتها لتقـــويض هوامش الحرية، ونجد هذه المواد سندا حقيقيا بـــالمادة الثانية تجد من الدســـتور، ورغم ما يقول به عدد من كبار القـــانونيين من أن هذه المادة موجهة إلي المشرع بالأساس، لكن يجرى التأسيس عليها في المطالبـــة بـــالمصادرة، وكثيرا ما تجد المطالبة استجابة وصدى.

صحيح أن الدستور المصري به مواد تتحدث بوضوح عن حرية المعتقـــد والفكر، لكن نادرا ما يجرى تفعيل هذه المواد، فالغلبة لغيرها سواء لدي القضاء الواقف أو القضاء الجالس في أغلب الحالات.

وإذا كان فريق المصادرة قد انتظم في مجموعات واخترق مؤسسات، ففي المقابل لا نجد مؤسسات تريد أن تتصدى جذريا لذلك، إن المسئول في أي مؤســسة رسمية ثقافية أو صحافية يعد خصما منه وسلبـــية كبري يؤاخذ عليها أن يصدر عملا تتم المطالبة بمصادرته، ناهيك عن أن يصادر، فيتم تقيمة على أنه مارق أو مثير للغط في مجتمع يريد الاستقرار والثبـــات!!

ولذا تتجنب الكثير من المؤســـــــات الدخول في صدام أو مواجهة مع المحتسبين الجدد، لقد عزل رئيس احدى المؤسسات الثقافية بسبب ذلك مرة ونفي مفكر مثل نصر أبو زيد خارج مصر، ولم تنجح جائزة نوبـــل بجلال قدرها في أن تفرج عن رواية نجيب محفوظ "أولاد حرتنا" ، فقـــط أفرج عنها حين رفعت المؤسسة الدينية يدها وأبدت في شخـــص د.محمد سيد طنطاوى عدم ممانعته في ظهور الرواية، وعموما لم يقدر لصاحـــب الرواية نجيب محفوظ أن يرى روايته مطبوعة في مصر طوال حياته.

ولا يمكن أن نغفل العنصر السياسي، فقد جاء على مصر حين من الدهر كان هناك حزب أسمه الأحرار الدستوريين، ولم يكن حزبا جماهيريا، لكن الحرية الفكرية كانت قضية هذا الحزب والقائمين عليه، ولأن ليس لدينا حزب جعل من الحرية الفكرية هدفا له، المؤسي أن معظم الأحزاب الآن تحاول سحب البساط من المتشددين فتنافسهم في التشـــدد، في قـــضية الرسوم المسيئة للرسول وفي أزمة الحجاب وقف حزب الأغلبية في الموقع المتشدد، والمبرر أنه فعل ذلك كى لا يتيح للأخرين "المتشددين" ركوب الموجة، فركبها هو..!!


يوسف إدريس

وفي وقت كان لدينا شخصيات فكرية قـــوية ومؤثرة، تســـاند الحرية وتدافع عن حق الكاتب والمبدع، وكان ذلك كافيا بردع دعاة المصادرة، ففي سنة ١٩٥٥ كان يكفي وقوف د. طه حسين إلي جوار الشيخ بخيت عبد الحميد بخيت ليلجم الكثيرين من مطاردته، وكان الشيخ بخيت قال رأياً في الصيام لم يعجب الأزهر ولا شيخه الأكبر!

وبوضوح شديد ما لم تكن هناك حرية سياسية، صحيحة وليست زائفة، حقيقة وليست ديكورا، مكتملة وليســـت جزئية وهامشـــية فلن تكون هناك حرية فكرية، تتيح للكاتب وللمبـــدع شـــاعراً أو روائياً أو فنانا تشكيليا أو سينمائيا، كذلك المفكر والأكاديمي الحق أن يقول ما يراه وما يعتقد أنه صحيح، وما لم تكن هناك حركة تجديد للفكر الديني، تبحـــث عن حلول وإجابات معاصرة وتطرح الأسئلة المعاصرة، فســـوف تزداد الحركات الأصولية تشدداً وتزمتا، فلا يليق أن تكون بالقـــرآن الكريم العديد من الآيات تخاطب النبي بأنه ليس عليه وليس مسئولا عن كفر من يكفر، وأن حساب الكافر أمام الله وحده ثم تخرج مظاهرة في قرية بصعيد مصر لطرد البهائيين منها، بدعوى أنه لا مكان في القرية لغير المســـلم أو المسيحى أو اليهودى!!

نحن نفتقد حركة فكرية جسورة تطرح أســـئلة العصر وتجعل من الحرية الانسانية قضيتها وأوليتها الأولي.

ذات يوم كتب يوسف أدريس أن الحرية المتاحـــة في العالم العربي كله لا تكفي كاتبا واحداً، وأظن أنه حـــالنا اليوم لم يتغير كثيرا، إنه لم يكن قـــد ازداد تراجعاً، كانت المصادرة هواية لدي البعض، أما اليوم فقد أصبحت حرفة أفراد ومجموعات كاملة!

» يوزسف زيدان :

فوجئت بهجوم رجال الكنيسة غير المبرر، لكننى لم أنسق إلى الصدام

مؤلف رواية " عزازيل " التى أثارت الجدل

◆ حاوره/ سيد محمود

كان ترشيح رواية "عزازيل" للدكتور يوسف زيدان ضمن القائمة القصيرة لجائزة البوكر العربية ثم الفوز بها أحد أهم مفاجآت الجائزة، ربما لان صاحبها لم يطرح نفسه منذ أن بدأ العمل الثقافى العام قبل نحو ١٥ عاما ككاتب روائى، إذ التصقت به صفة الباحث الذى ألف وحقق ما يزيد عن ٣٠ عملا فى مجالات تاريخ العلوم والفلسفة والتصوف وهو اليوم يدير مركز المخطوطات أحد أهم المراكز البحثية التابعة لمكتبة الإسكندرية، وربما بفضل ارتباطه الدائم بالمخطوطات وجد زيدان موضوعا متميزا لروايته المثيرة للجدل، التى تتحدث عن ترجمة مخطوطات قام بها مترجم وهمى لمجموعة لفائف مكتوبة باللغة السريانية، دفنت ضمن صندوق خشبى محكم الإغلاق كتبت فى القرن الخامس الميلادى وعثر عليها بحالة جيدة ونادرة فى منطقة الخرائب الأثرية حول محيط قلعة القديس سمعان العمودى قرب حلب/ سوريا، كتبها الراهب هيبا بطلب من عزازيل أى الشيطان.



الجنس فى الرواية، ليس مطلوباً لذاته، وكتبته من منطق انسانى خالص



وقد أثارت الرواية بموضوعها جدلا كبيرا تعدى من وجهة نظر الكثيرين على جودتها الفنية وحصر النقاش حولها فى أمور تتعلق بالشأن الدينى ربما لأنها تتحدث عن فترة للميلاد حرجة من تاريخ الكنيسة بين القرنين الرابع والخامس (زمن انشقاق كنيستى أنطاكيا والإسكندرية. وعقد مجمع أفسس الذى ناقش انشقاق نسطور أسقف القسطنطينية وحرمانه)

وتتألف الرواية من ٣٨٠ صفحة فيها ٣١ فصلاً (رقاً) ولكل رق عنوان والرق الأخير هو قانون الإيمان المسيحى، وكلمة عزازيل تعنى الشيطان بحسب اللغات القديمة، وبحسب ما جاء فى الموسوعة الشعرية من كتاب "الباقلانى" لأبى البركات الأنبارى (١١١٩ – ١١٨١م) فإن إبليس وقبل أن يرتكب المعصية كان ملكاً من الملائكة واسمه عزازيل ولم يكن من الملائكة ملك أشد منه اجتهاداً ولا أكثر منه علماً".



زيدان يمسك بشهادة جائزة البوكر وسط الكتاب الذين رشحوا للجائزة.

وتأتى رواية عزازيل كعمل روائى ثانٍ بعد رواية "ظل الأفعى" التى ناقشت قداسة الأنوثة ودور الأنثى فى مراحل مبكرة من التاريخ البشرى قبل أن تتحول المجتمعات الإنسانية إلى السلة الذكورية ، أما العمل الثالث الذى يعكف د. زيدان عليه حالياً فهو رواية اختار لها اسما مؤقتا هو "أيل" وتعنى الله أو النبطى.

ولا شك أن كل تلك المعلومات تشير دون مراوغة لى أن لدى صاحبها مشروع محدد المعالم قائم فى جوهره على مساءلة التاريخ وقراءته بروح نقدية لعلها السبب الرئيسى لما دار من مساجلات حول أعماله من قبل رجال الدين المسيحى فى مصر والذي يهدد بعضهم برفع دعاوى قضائية، فيما لجأ آخرون إلى إعداد مؤلفات لا هدف منها سوى الرد على ما اعتبروه نوع منا "المغالطات" التى امتلأت بها رواية زيدان، فالقمص عبد المسيح بسيط، أستاذ اللاهوت الدفاعى بالكلية الإكليركية فى مصر – على سبيل المثال – كتب : اهتم زيدان بمحاولة إيحاء القارئ بأن القصة التى "ألفها" – عزازيل – قصة حقيقية، وجدت مكتوبة فى لفائف جلدية أثرية مكتوبة باللغة السريانية، أو الآرامية، وهى لغة المسيح".

وقال بسيط فى أكثر من مصدر صحفى "الكاتب بنى روايته على أساس أحداث واقعية وتواريخ معروفة، وقد وضع لها ثلاثة أهداف، هى : الانتصار لمن سمتهم الكنيسة بالهرطقة، وتوجيه هجوم شديد للكنيسة ورمزها القديس مرقص الرسول، إضافة إلى محاولته الإيحاء بأن (الله لم يخلق الإنسان بل إن الإنسان هو الذى خلق الله، وأن فكرة الإله هى من خيال الإنسان".

وفى مقابل تلك القراءات التى يمكن وصفها بـ "التعسفية" وجدت الرواية قراءات أخرى كان هدفها الرئيسى هو استنطاق النص الأدبي ذاته وبيان ما ينطوى عليه من جماليات ومن بين تلك القراءات، القراءة التى قدمها الناقد البارز جابر عصفور للرواية فقد اعتبر اختيار زيدان للفضاء التاريخى الذى تتحرك فيه أحداث روايته، هو اختيار روائى مقصود، بغرض كشف مناخ التعصب وادانه خطابه فى كل عصر .

هنا حوار مع زيدان حول ما انطوى عليه عمله الروائى من فضاءات مجازية وما أدت إليه طرق القراءة التى قادت نصه مرة لجائزة البوكر العربية "ومرات أخرى إلى قراءات" استعمالية "بحيث باتت أرضا خصبة لعدد من التأويلات.



لم أنجرف الى سجال دينى بين اسلام ومسيحية. فكلاهما عندى تراث



- قلت له فى البداية : ما الدلالة المقصودة من اختيار اسم "عزازيل" كعنوان للرواية وهو عنوان كان من الصعب إدراك معانية بالنسبة للقارئ العادى؟

الرواية لم تكتب أصلا للقارئ العادى...

- لماذا كان اللجوء تقنيا إلى ما اسماه جابر عصفور: مخايلة استهلالية فى السرد: حيث يختفى المؤلف المضمر والمعلن فى الحكايات التى ترد فى مقدمة المترجم؟

أردت أن يشارك القارئ فى النص، يتورط فيه ويحتار قليلاً مثلما احترت، ثم يشرع فى النص سالكا الطريق المتوسط بين الواقع والخيال، فيسكب على النص كثيراً من واقعة هو، وخياله، ثم يتوحد على نحو خفى بالبطل، ويرى نفسه متجلياً على مرآته.

لم أشأ أن أقدم للقارئ (حدوته) أو حكاية مسلية، وإنما قدمت إليه نصاً يستنفره ويتمازح مع باطنه العميق.

ولذلك اقتضى الأمر، هذه التقنية غير المباشرة التى وصفت بأنها مخايلة استهلالية.





- لماذا كان الإصرار على احداث نوع من التغريب وخلق حكاية للحكاية، هل لكى تباعد بين القراء وآليات الاستقبال للرواية نفسها؟

هذا متصل بما سبق، بشـــكل وثيق، ومرتبـــط بحياتنا على نحو عميق. فلا توجد فى الحياة ولا فى الوعى بالحياة حكاية مفردة، لكل حكاية حكايات مرتبـــطة بها، ففى حـــياتنا لا يوجد خط مستقيم، وإنما دوائر! والدوائر كلها متداخله.

- من الأمور المدهشة فى الرواية مســـــتويات اللغة داخلها، فهناك أكثر من مستوى لها، مستوى وصفـــى، ومستـــوى يمكـن أن نسميه دينى، ومســـتوى آخــر قائــم على محاكاة النصوص القديمة. والسؤال: كيف توصل زيدان إلى خلـق لك المستويات على الرغـم مـن أن خبرته كروائى ليست كبيرة، فهل استعان هنا بخبرة الباحث فى علوم المخطوطات؟

هذا نتاج الانشغال بطبيعة النصوص، تراثية كانت أم معاصرة. وقد فعلت الأمر ذاته فى دراساتى النقـــدية التى نشـــرت فى النصف الأول من التسعينات، ثم صدرت فى كتابى النقـــدى (التقاء البحرين) بمنتصف التسعينيات. فالخبرة التى تذكرها، ليست صغيرة ولا جديدة.

- تتجلى داخـل النص لغـة شاعرية محملة بـ"طاقات "صوفية أسماها جابـر عصفور فى سلسلة مقالاتـه عن العمل "لغـة المخايلة الشعرية" وأريـد أن أسأل هنا عن قرر الروائى بداخلك فى الانحيـاز إلى لغـــة دون أخرى، وأرجـو أن تحدثنا عن أشكال المجاهدة التى قادتك إلى خلق هذا العمل؟

هى ليست مجاهدة، بل غوص فى الشخصيات وتدوين الصورة الروائية للشخصيات، بعدما تتخلل باطنى تماماً، فأصير كأنى هذه الشـــخصية الروائية، أو تلك. ومن بـــعد ذلك، أترك الشخصية تتحدث عن نفسها بـــلغتها الخاصة ورؤاها المميزة لها.

- ألم تفكر أكثر من مـــرة قبل خلق حـكايات عن الجنس فى الـــرواية بســـبب طبيعة موضوعها؟

الجنس فى عزازيل، ليس مطلوباً لذاته، وإنما هو مرآة لانعكاس الحالة العامة للشـــخصيات. ولذلك تراه مفعماً بالإنســـانية العميقة لهذه اللحـــظات الفريدة، التى ينطلق نصها المكتوب روائياً، من مفهوم هرمى للجنس وليس بالمفهوم السطحى له.

- هل الجنس فى الرواية جاء مشدوداً بـين غوايتين، لا تفارق كل منهما صفة المعرفة المنهى عنها، المعرفة المقرونة بمبـدأ الرغبة الذى لا يفارق معنى اللذة؟

هذا كلام معقد، أو هو على الأقل أكثر تعقيداً مما تحمله تلك المشاهد الروائية التى كتبتها، منطلقـــا كما قـــلت من مفهوم إنسانى عميق لتلك اللحـــظات الحميمة عبر ذلك الفعل الذى يصفه الهرمسيون بـــأنه الفعل الحلو المكرس الذى يلتقـــى فيه الرجل والمرأة فيدركان لحظتها أنه فعل اكتمال، وأن الـــذى ذكر المذكر هو الذى أنث المؤنث.

- وهل قصدت أن يكون لعزازيل فى نصك هذا الحضور الملتبس؟

هو ملتبس الحضور دوماً.

– ألم يكن لهذا الحضور الملتبـــس ثمنه الذى ندفعه صاغرين .. متحولين .. قامعين مقموعين!

- ترد فى الرواية إشارات واضحة لا لبـس فيها بشأن خطاب "التكفير" الذى يخلقه صناع الفتن استنادا إلى تأويل خاطئ للنص الدينى هل بدأت الكتابة بنية فضح آليات هذا الخطاب وتفكيكه، أم أن الكتـابة بذاتها قادت نصك إلى هذه المعالجة، وبمعنى آخر كيف ترك الزمن الراهن أثره على نصك الذى يبدو تاريخياً إلى حد كبير؟

التاريخى والراهن متداخلان فينا على نحو أعمق مما نظن، إننـــا نفصل التاريخ عنا على مستوى ذهنى، فقط، ولكن على المستوى الشعورى والفعلى (واللغوى أيضاً) فالتاريخ نافذ فينا، اعترفنا بذلك أو أنكرناه.

- هـــل فاجأتك طرق قراءة النص، لا سيما تأويله الدينى الذى قادك إلى الصدام مع بعض رجال الكنيسة؟

فوجئت بالطبـــع من الهجوم غير المبرر، غير أنى لم أنســـق إلى الصدام. ولا أوافقك فى قولك (قادك إلى الصدام مع الكنيسة) بالعكس، تجنبت ذلك قـــدر المســـتطاع، ولذلك لم أرد على التوهمات التى اشـــتملت عليها تلك (البـــيانات) الكنســـية الرسمية، انتظاراً منى لتلك اللحظة التى يقـــرأ فيها الغاضبـــون روايتى قراءة منصفة أو يضربـــون عنها صفحـــاً ويتجاهلونها مادام معناها العميق غائباً عن أذهانهم.

- وعلى صعيـد آخر، هـــل جاءت القـراءات النقدية المضـــادة للتأويل الدينى للرواية لتحقق لها قدراً كبـــير من الانصاف الذى اكتملت ذروته بفوزها للبوكر، وهو الأمر الذى اعتبره البعض مفاجاة كبيرة؟

القراءة النقدية تأخرت، فكانت النتيجة أن قرأ بعضهم الرواية على أنها كتاب يقع خارج دائرة التأليف الأدبى. ولذلك، كان الفوز بجائزة البوكر للرواية العربـــية، إنصافاً لروائية الرواية وتوجيهاً رفيعاً إلى أدبـــيتها. والعجيب فى الأمر، أن آرائى النظرية مثبـــوته فى كتبى الأخرى، ومذكورة هناك صراحـــة. فلماذا لا ينتقم الناقمون على ما ورد هناك، ويتركون الأدب لأهله، والرواية لمن يعرفون أوليات القراءة.

- عندما تقارن بين أشكـــال الأستجابة النقدية والجماهيرية لروايتك الأولى "ظل الأفعى" ورواية "عزازيل" ما هى المفارقات التى تستوقفك؟

يستوقفنى فى الحالتين هذا الاهتمام الكبير من الشباب، فقـــد كنت غافلاً عن هذا الكم الهائل من القـــــراء الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والثلاثين. ويستوقفنى أن تحظى عزازيل بهذا الاهتمام باعتبارها رواية (خطيرة) مع أنى أرى "ظل الأفعى" أخطر منها.

زيدان يلقى كلمته بعد الفوز بالبوكر

- وهل هذا يعنى أن الجـدل الذى أثير حول "عـــزازيل" أعـــاد اكتشاف روايتك الأولى كما أكد أن موضوع الرواية هو الذى صنع الجـــدل وليست تقنياتها؟

الموضوع فى ظل الأفعى لا يقـــــل أهمية عن مثيلة فى عزازيل، وتقـــنياتها الفنية أعقـــد وأكثر رهافة. ومع هذا، فلا يمكن أن نذهب إلى أن الرواية الأولى لم تثر جدلاً، فقد حظيت بـــاهتمام كبير، ونفذت طبعتها الأولى فى وقت قصي، وكذلك طبـــعتها الثانية. ولا يزال من العسير الحصول على نسخة من طبـــعتها الثالثة التى تأخر صدورها، ولم يتم توزيعها بشكل جيد حـــتى الآن. وعلى كل حال، فمسألة الجدل ورواج العمل، لا تعنينى بقدر كبير. أو بعبارة أخرى، أهتم بذلك بأقل مما أهتم بـــعمق الأثر الذى تحدثه كتاباتى . وهو ما ينطبق أيضا على أعمالى غير الروائية، فكتابى (شـــعراء الصوفية المجهولون) طبـــع ثلاث طبعات، كانت الأولى منها عشـــرة آلاف. ومع ذلك، فالأثر الذى أحدثته دراساتى المنشورة كان أكثر عمقاً وأهمية.

- قارن نقـــاد بين منـاخ التلقـى الذى سمح بمرور رواية "قريـة ظالمة" لمحمد كامل حسين ومناخ متعصب يقف أمام "عزازيل" كيف تتأمل أنت ما جرى فى مصر والعالم العربى وخلق هذا المناخ المتعصب؟

للزمان دورته، وعلينا أن ندور مع الزمان حـــيث دار ... ولا شك فى أن الأحوال الفكرية عموماً، فى تراجع يزداد مع الأيام تدهوراً . والحرية الفكرية صـــارت أقل حضوراً، لأننا صرنا أكثر كســـلاً ذهنياً. ومن دواعى الكســـل الذهنى أن ترفض الشئ قبل النظر إليه، لأن هذا اســـهل وأقـــل إجهاداً للذهن الكسول، وأكثر مناسبـــة للحـــالة المرضية (من المرض) غير المرضية (من الرضا) التى وصلنا إليها مؤخراً.


يوسف زيدان والانبا بيشوي

- تحدث بعض منتقديك من رواد الإنترنت عن مسالة تتعلق برغبتك فى كتابة نص شبيه بـ "دافنشى كود" كيف ترد على هؤلاء أو بماذا ترد؟

لا رد عندى على هذه الأقوال، لأن أصحابها لم يقرأوا هذه ولا تلك، أو هم لا يعرفون أصلا الفارق الجوهرى بين رواية مغامرات وفبركات تاريخية مثل شفرة دافنشى، ورواية فلسفية كتبت بالدم مثل عزازيل.

- هل شعرت بشئ من الألم وانت تتابع على منتديات الإنترنت ما يمكن أن نسميه "الثأر الأدبى" من يوسف زيدان على نحو جعل البعض يكتب رواية "تيس عزازيل فى مكة" بغرض الهجوم على الإسلام بزعم هجومك على المسيحية؟

وكيف تلقيت ما تردد عن نية الكنيسة فى إصدار كتاب للرد على روايتك يحرره أساقفة ورجال دين؟

طبعا آلمتنى مسألة الثأر هذه، وانتظرت تلك الكتب التى صرحت شخصيات كنسية كبيرة أنها بصدد نشرها، وهى أكثر من كتاب غير أننى فى نهاية الأمر، لست عدواً لهم، ولا أظننى سأكون كذلك يوماً.

- عالجت رواية "ظل الأفعى" موضوع قداسة الأنوثة ودور الأنثى فى مراحل مبكرة من التاريخ البشرى قبل أن تتحول المجتمعات الإنسانية إلى السلطة الذكورية، وتعكف حاليا رواية يمكن أن يكون اسمها "إيل" وتعنى الله أو النبطى.

هل يمكن القول إن لديك مشروعاً روائياً متكاملاً قائماً على استثمار معرفتك بالتراث العربى على نحو لا يحفزك لكتابة رواية معاصرة متحررة من التاريخ؟

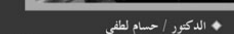
ظل الأفعى رواية معاصرة، بل تقع أحداثها فى المستقبل القريب (العام ٢٠٢٠) وكذلك أرى الخطاب الروائى فى عزازيل، التى يدور زمانها الروائى ومسارح أحداثها فى الماضى، ولكن خطابها الفكرى شديد المعاصرة. وقد ذكرت لك قبل قليل، أن الماضى والراهن لا ينفصلان فى الواقع، وإنما فى الذهن المجرد فقط.



- فى حواراتك الصحفية كلها لاحظت أنك تريد الرد من زاوية دينية كانها شكل من أشكال الاستجابة لمحاولات ابتزازك فى هذا الجانب، إذ تحدثت عن إيمانك ووعيك واحترامك للمسيحية فيما لم تقترب كثيرا من الخطاب المضمر للعمل بحد ذاته؟

لم انجرف ولا أنوى مستقبلاً، إلى سجال دينى بين إسلام ومسيحية. فكلاهما عندى تراث واحد، تعاقبت مراحله، وتأسس اللاحق منه على السابق. ولن أقع فى شرك الخلافات المذهبية، فأناضل قوما بلسان قوم آخرين، فهذا منهك لكل الأطراف، ومدعاة للتنازع، ومن ثم الفشل الذريع وذهاب عزم الجميع، كما ورد فى الآية القرآنية البديعة (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وقد علمتنى الأيام أن أتحاشى الأنهماك فى السجالات والمهاترات، اتقاء لظلمة القلب المترتبة على ذلك.

ميثاق شرف لحماية حرية الابداع


◆ الدكتور / حسام لطفى

المستشار القانونى لاتحاد الناشرين وخبير الملكية الفكرية المعروف


تستند معايير الرقابة التى تطبق فى مختلف دول العالم على ثلاثة محاور : السياسى والدينى والجنسى يمثل المحور السياسى محل خلاف دائم فيما بين أصحاب المصالح المتناحرة داخل المجتمع ويصعب تحديد معايير للرقابة السياسية كذلك الحال بالنسبة للرقابة الدينية إذ يجرم التشكيك فى عقائد الغير أو صمها بما ليس فيها . أما بالنسبة لمواد رقابة الجنس فقد تم تقسيم الرقابة إلى مراحل يشمل أولها العرض العام التى تتيح للجمهور من جميع الفئات متاعبة المصنفات الفنية المختلفة ثم تليها مرحلة ما بين ١٣ إلى ١٦ عام ويأتى فى المرحلة الأخيرة الأفلام التى يمكن للكبار مشاهدتها والتى تصنف فى مصر على أنها اباحية ولا يسمح بمشاهدتها لاي سن

التعرض للمعايير الراقبية يثير كثير من المشاكل الخاصة بثقافة المبدع وثقافة المتلقى والمحاذير التى يفرضها كل مجتمع وإذا كانت فكرة الرقابة تعمل دائما ضد حرية الابداع إلا أن هناك بعض الضوابط التى يمكن أن تحسن من أداء الرقابة بحيث لا تتناقض مع حرية المبدع كأن يتم تطبيق الرقابة المتدرجة التى تكفل حرية تامة للإبداع وفقا لشرائح سنية ملائمة وفى مصر لا يطبق هذا النوع من الرقابة على المصنفات الفنية إذ يميز القانون بين نوعين من العروض هما التصنيف تجارى ولا يحقق الهدف المرجو من ورائه كما أن بعض الرقباء يتعمدون تطبيق قواعد صارمة لتزداد شهرتهم فضلا عن المخاوف التى تنتج عن انتشار الفكر الدينى المتشدد.

أما فيما يخص الأبداع المكتوب فهناك مشكلة أساسية فى الدول العربية تتعلق بغياب السن التحكمى الذي يتم من خلاله تصنيف المواد الأدبية والفكرية المنشورة وفقا للشرائح العمرية التى تلائمها. ويجب أن تكفل حرية الإبداع بشكل عام مع الحفاظ على ميثاق أخلاقى يحدد ضوابط التعبير عن الرأى بما يراعى عنصر التوقع بحيث لا يقدم للقارئ العادى ما يصدمه ولا يمكن ذلك إلا بتحديد شرائح سنية للقراء.

"عزازيل" شهادة على ثقافة مريضة

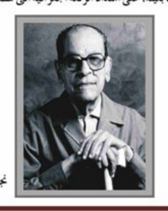
لا أظن أن رواية مصرية قد أثارت ، أخيرا من الضجة حولها ما أثارت رواية " عزازيل " التى كتبها يوسف زيدان، وأصدرتها دار الشروق فى القاهرة وعلى رغم أن المؤلف المتخصص فى التراث العربي وبخاصة التصوف والمخطوطات أصدر روايته الأولى منذ سنوات قليلة ولم تثر الرواية أى استجابات خلافية، بل مضت بسلام، بعيدة من الأخذ والجذب، لكن رواية " عزازيل " آثارت الكثيرين ، وأهاجت طائفة غير قليلة من رجال الدين المسيحي فى مصر، وربما غيرها، وذلك لتعرضها لقضايا تأويلية خلافية فى الديانة المسيحية، غير بعيدة من العقائد الأساسية التى انبنت عليها الكنيسة القبطية فى مصر، عبر تاريخها الطويل، وصراعاتها القديمة. وعلى رغم أن " عزازيل" رواية فى آخر الأمر ، لحمتها التخييل وسداها المجاز، تستمد قيمتها من مبناها الفني، وليس من رسالة لا هوتية او عقائدية تريد توصيلها على نحو مباشر ، أو تعمل على إشاعتها حتى على نحو غير مباشر، فإن الجدل الاعتقادي الصاخب حول الرواية نسي طبيعتها التخيلية ومضى فى محاكمتها كما لو كانت كتابا فى التاريخ أو العقائد ويبدو أن هذا هو السبب فى إيثار بعض النقاد الصمت فى نوع من الخوف أو التقية، وكانت النتيجة ضجيجا غاب عنه صوت النقد الأدبي الأصيل الذى كان ، ولا يزال ، قادرا على إعادة تنبية الأذهان إلى الطبيعة التخيلية للرواية التى ، وإن وازت بعض أحداث التاريخ الاعتقادى للمسيحية فى مصر، فإنها لا تتطابق معه بالضرورة، حتى وإن أشارت إلى بعضه على سبيل التضمن أو اللزوم، فى إطارها التخيلى الذى يحدد طبيعتها النوعية بالدرجة الأولى، من حيث هى عمل فنى ، ويكشف ، دون سواه، عن منظور أو مناظير الرؤي التفسيرية والجمالية التى لابد من أن نطالع الرواية من خلالها ، وإلا أفقدناها حضورها المستقل بصفتها نصا



* جابر عصفور
ناقد ومفكر مصرى.

إبداعيا، لا ينفصل معناه عن مبناه ، خصوصا فى قدرته على توليد دلالات لا حصر لها ولا أفضلية مطلقة لواحدة منها على غيرها، فهى رواية ،ككل عمل فنى ، حمالة أوجه ، ولا يمكن قراءتها على طريقة لا تقربوا الصلاة، أو على أنها تهدف إلى هدف دلالى بعينه.

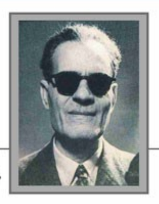
مؤكدا أن الرواية تشير إلى أحداث ووقائع حدثت فى تاريخ الكنيسة الشرقية، فى مصر وغيرها ولكن الإشارة لا تعنى التطابق الحرفى كما سبق أن أشرت، وإلا انقلبت الرواية التاريخية إلى تاريخ، وعندئذ نخرج من التقويم النقدي الذي يبحث عن القيمة الجمالية فى التحليل الأخير إلى المحاكمة الاعتقادية التى تقود إلى ما يمكن أن يكون محاكم تفتيش جديدة، تماما كما حدث مع (اولاد حارتنا) التى لا تزال مطاردة بتهمة الإلحاد، موصومة بلعنة التكفير، على رغم كل محاولات الدفاع عنها ، ساء من منظور التأويل الدينى السمح، كما فعلت عقول من طراز عقل أحمد كمال أبو المجد المفكر الإسلامى المصرى العروف، أو منظور النقد الأدبي، كما فعل نقاد كثيرون ، ابتداء مما كتبه محمد حسن عبد الله عن (الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ) وليس انتهاء بما كتبته منذ أعوام عن الرواية وأتصور أن (عزازيل) لا تزال تثير الضجيج حولها لأنها دخلت إلى غابة الشوك الخاصة بالعلاقة بين الفن الروائى والتاريخ عموما، حيث تتصارع التفسيرات نتيجة تصارع المصلح والمواقف والأيديولوجات، وتاريخ العقائد خصوصا، حيث تتزايد درجات الحساسية ، وتتصاعد إمكانات القراءة المتربصة، خصوصا فى مناخ يشيع فيه التعصب داخل تيارات الدين الواحد، ويصاب الخطاب الدينى بالتصلب المقترن بالتخلف، فيتكاثر دعاه التكفير كالوباء ومن سوء حظ " عزازيل " انها صدرت فى هذا المناخ الذي لا يخلو من احتقان طائفى ، تغذية عوامل يمكن رصدها فى الحياة المصرية، ولولا ذلك لما اهتم أحد بأن كاتب الرواية مسلم تعرض لأحداث تاريخ قبطى، فقبل ذلك بسنوات عدة كتب المرحوم محمد كامل حسين روايته العلامة " قرية ظالمة " التى لم تأخذ ما يليق بها من اهتمام النقاد أو المؤرخين للرواية العربية عموما، والمصرية خصوصا وكان الموضوع الرئيسى للرواية عن ملابسات الجريمة التى انتهت بصلب السيد المسيح عليه السلام، وذلك من منظور الفاعلين الذين اسهموا ، فى شكل مباشر أو غير مباشر فى صنع الجريمة وكان الكاتب عضو مجمع اللغة العربية فى ذلك الوقت ، والطبيب الشهير مسلما، وكان الموضوع فى صلب التاريخ المسيحي ، ومع ذلك مرت الرواية بسلام، وتلقت الاحتفاء اللائق بها من مجايلى المؤلف أمثال طه حسين والعقاد وغيرهماولكن لأن الحياة الثقافية المصرية قد فارقت زمن التسامح إلى زمن التعصب، واستبدلت الحياة السياسية الذى هو أدني بالذى هو خير، وكثر ملاك الحقيقة من محتكرى الحديث باسم الدين، وشارع ما كان يسميه أسلافنا " ضيق العطن " فأصبحت المجادلة بالتى هى أقمع فى موقع المجادلة بالتى هى أحسن ، ولذلك تكالب على الرواية المتزمتون من المسيحين على نحو خاص، فأشبعوها هجوما، إذ كيف يجرؤ مسلم على الاقتراب من حرمة عقائدهم، وازور أشباههم من المتعصبين المسلمين الذين لا يختلفون إلا فى الدرجة والنتيجة هى غيبة الصوت النقدى، صوت الناقد الأدبي الذي ضاع بين نشاز الأصوات ولغة التنابذ، فلم يختلف النقاد فى تفسير رموز الرواية ، من دون اسم ، كما لو كان عزازيل، وليس انتهاء ببطلها الذي تعمد الروائى أن يطلقه فى الرواية من دون اسم ، كما لو كان هوية لم تتعرف ، ولم تعرف نفسها، وحضور لم يكتمل وينتظر الحدث الذي يكمله ، فيكتسب منه التسمية التى لا تفارقه بعد الحدث المأسوي الذى أكمل عملية التعميد الرمزية لوعيه المعرفي من حيث هو كينونة حضور وفضاء متصارع ، تنعكس على صحفة روحه التيارات الاعتقادية المتصارعة التى يتحرك فيها داخل الأزمنة المتعاقبة والمتوازية، والأمكنة المتجاورة والمتباعدة واللافت للانتباه أننى لم أر أحد فى وسط هذا الضجيج الذي لا علاقة له بالنقد الأدبي، حول الرواية يلتفت إلى دلالة تسميتها التى لا تشير إلى البطل إشارة الأسم إلى مسمى، أو إلى مكان بعينه، على امتداد الرقعة الجغرافية التى تمضى فيها الأحداث،



نجيب محفوظ

من أخميم فى اقصى صعيد مصر إلى الإسكندرية، ومن الإسكندرية إلى الصحراء الممتدة الواصلة إلى البحر الميت، ومنها إلى القــدس، ومن القدس إلى حلب، ومن حــلب إلى الدير الذي يكتمل بــه وفيه وعي البطل الذي يدرك، أخيرا ، أنه يطوف دوما بظاهر الأشياء، ولا يغوص فيها وأن كل ما فيه ملتبس كأنه التباس فى التباس والكتابة عند بــطل الرواية، الراهب المتوحد، هى محاولة لفك هذا الالتباس ، عملية إبحار أو سفر فى أقاليم وعيه، باحثا مفتشا عن كل ما لم يستطيع أن يقبــض عليه فى حياته التى لا نعرف كيف انتهت مع أننا نعرف كيف ابتدأت ، كما نعرف أن الكتابة كانت، فى لحظات استرجا ع الزمن الماضى، فعلا من أفعال مقاومة الموت والشر الكامن كالرغبة حتى داخل فعل الكتابة الذى هو طراز وجود وعلامة هوية نعرف من أحداث الرواية، بالطبع، أن (عزازيل) كان يحفز البطل ، الراهب ، المتوحد على كتابتها ولكن دافع الكتابة، كما تؤديه تفاعلات السياقات ، هو أكبر من عزازيل إنه دافع خارجى وداخلي وإذا كان عزازيل يشـــير إلى الدافع الخارجى المغاير للبــطل، الآخر الي هو إياه بمعنى من المعاني، فإن الدافع الداخلى هو الجانب الفاعل من الذات التى تجتلى حضورها الذى هو أياها كما لو كانت تتطلع إلى نفســها فى مرأة فتغدو هى الرائى والمرئى ، الناظر والمنظور إليه، لكن انقسامها يتيح لنا الإشارة إلى القســم الفاعل من الوعي الذي يحيل قســمه الآخر إلى موضوع للتأمل، فى قــضاء من المسرحة الداخلية التى يمكن أن يحدث فيها تبــادل فى الأدوار، وذلك على نحو يغدو معه الظاهرة باطنا والباطن ظاهرا ، فنقترب من لحظات التعرف التى هى نوع من الشكف بواســطة فعل الكتابــة التى لم تكن فحسب فى الرواية، ناتج رغبة عزازيل الكامن فى داخل اراهب ، كأنه القرين ، أو الظل، أو مبدأ الرغبة الذى ينطوى عليه.

كل هذه الآفاق وغيرها كثير ضاعت فى الغبار القــاتم الذى اختفى فيه التسامح والتعقل ووعى الناقد الأدبي، وتعالت الصيحات والصرخات بالويل والثبور، ووصلت السذاجة بأحد المعقبين الأقباط ، فى برنامج حوارى دار حول الرواية ، إلى حد السؤال هل يســمح لأحــد من الأقباط بكتابة رواية عن علم من أعلام الإســلام ؟ ووجه الســذاجة يتجلى عندما نضطر إلى إعادة تأكيد أن التاريخ المسيحــى كالتاريخ الإسلامي لا فاصل بينهما فى التاريخ المصرى الذى هــو جمــا ع من الاثنين ، وأن تاريخ الوعى المصرى، على امتداد مراحله وأزمنته ، لا يكتمل إلا بأن تكون المعرفة بالتاريخ المسيحــى فى وزن المعرفة بالتاريخ الإسلامى، فالدين لله كما كان يقول قادة ثورة ١٩١٩ وتاريخ أديان الوطن لكل أبناء الوطن بــلا تفرقــة. ولكن كيف يمكن أصوات العقلاء أن تقضى على ضجيج التعصب والتطرف الذي انتشر كالوباء فى الحياة الثقافية المصرية، بــل وغير المصرية، الأمر بالغ الصعوبة ، لكنه ليس مستحيلا إذا صح العزم، وتكاتف الجميع فى مواجهة أعصاير الإظلام والى أن يحدث ذلك ، فمــن الطبيعى أن نرى ما نرى، ونسمع ما نسمع ، ونرى فى موجه هزل الهجوم على رواية " عزازيل " من يقوم بالرد عليها ، وكتابة رواية مضادة عن مثالب فى الإسلام، فنقرأ على "النت" رواية بــعنوان "تيس عزازيل فى مكة"رواية للأب يوتا وأسم المؤلف غير حقيقى بالطبع، وهى تهجم مضاد على الإسلام، ثأرا من تهجم يوســف زيدان على المسيحية وهو وضع ثقــافى بــالغ الاعتلال والمرض والتخلف وإعلان عن احتقان دينى له مخاطره التى ينبغى التحذير منها ، خصوصا أنها تحدث فى ثقافة مريضة، يتفاقــم مرضها يوما بعد يوم.


طه حسين

والمفارقة المؤسية أن رواية يوسف زيدان، لمن يقــرأها بتعقــل ، لم تهاجم المسيحــية، ولا تهدف أصلا إلى الهجوم على أي دين وإنما قدمت رواية متخيلة، ليست واقعية، وصاغت سيرة روائية خيالية لشخصية راهب لا وجود لها فى عالم الواقع، وتصف أحداثا على سبيل المجاز لا الحقيقة من وجهة نظر هذه الشخصية الخيالية وليس وجهة نظر كاتبها يوسف زيدان الذين لم يكتب كتابا فى التاريخ أو العقائد، وأننا لو قرأنا الرواية قراءة حقيقــية لأدركنا سمو أهدافها ونبل غاياتها الأخلاقية والروحية التى هى تأكيد لقــيم التســامح وتقبل الآخر واحترام حق الاختلاف ورروفض مبدأ العنف ونبــذ التعصب باعتباره لازمة شــيطانية، تهدف إلى الدمار فى نهاية الأمر والغريب أن عشرات بل مئات النقــاد، عبر أقــطار العالم ولغاته وآدابه، لا يكفون عن ترديد أن الرواية ليست الواقــع حــتى لو أشارت إليه ، وأن الحكم عليها مرجعة النقاد وليس ســدنة هذا الواقع أيا كانت صفتهم الدينية أو السياسية، وأن الشــخصيات التى توجد فى أى رواية هى شخصيات روائية حتى لو حملت أسماء تاريخية ، معناها فى مبــنى الرواية، ومغزاها من داخلها، وليس من خارجها بأي حال ن الأحوال. ولكن لأننا نعيش فى ثقافة مريضة ، أنهكتها فيروســات التعصب والتطرف التى تعمل على نشــرها طبائع الاستبداد ، وما هو ناتج من سوء أحوالنا، وهوان أوضاعنا، وتعقــد مشــكلاتنا، وتحالف الخطابــات الاجتماعية والسياســية والدينية، وشــيوع مضاعفات التعصب ونواتج التطرف، فإن النتيجة ما نراه من اختلاط الحابل بالنابل، والجهل بالعلم، واختلال القيم ، وغلبــة التصلب مع التزمت، ومحاكمة الأعمال الإبداعية بمعايير غير إبــداعية ، فى زمن يعلى من رايات المتمسحين بالدين فتتضخم نبرات القمع فى أصواتهم ووســائلهم الأرهابية وتضيع القيمة الجمالية لأعمال إبداعية كثيرة تحت وطأة غبار كثيف يحجب الرؤية أمام الناقــد الأدبي، ويعكر على قــلم المبدع، فيغدو الجميع أسرى لهذا الكائن الإبليسي، الشــيطاني ، الجهنمي، التدميري الذى هو فينا ، وحــولنا ، وخلفنا ، وتحتنا ، وفوقنا ، وفى مواجهتنا عزازيل.

هيباتيا

عرض كتاب



الانبا بيشوى

فى سابقة هى الأولى من نوعها طرح أحد رجال الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر كتاب جديدا بالأسواق للرد على رواية "عزازيل" للكاتب يوسف زيدان وذلك تحت عنوان "عزازيل .. الرد على البهتان فى رواية يوسف زيدان".

وكتبه الانبا بيشوى من مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبرارى ودير الشهيدة دميانه وهو سكرتير المجمع المقدس بالكنيسة الأرثوذكسية الذى تعهد من قبل بإصدار كتاب للرد على "عزازيل" التى أثارت جدلا واسعا.

والكتاب كما يصفه الغلاف "عبارة عن بحث وثائقى تاريخى وعقائدى لمواجهة الرواية" وعلى الرغم من أن هذه الطريقة فى الرد هى شكل من أشكال الاجتهاد وهى آلية جديرة بالاهتمام لا سيما وانها كانت بديلا لدعاوى المصادرة التى عمل بعض منتقدى الرواية من المسيحيين إلى تبنيها إلا انها بالمقابل تعتبر الرواية محل النقد





سكرتير المجمع المقدس يرد على "عزازيل"

رد دينى يرفض اعتبار الرواية عملا متخيلا

هى أبشع كتاب عرفته المسيحية" الامر الذى يجعل من الكتاب مواجهة مع كتاب فكرى أو بحث تاريخى وليس مع عمل روائى متخييل يتهمه الكتاب ب "نشر الاضاليل ليس عن جهل ولكن عن معرفة، وذلك لتشبثه بالرغبة ى الطعن فى العقيدة المسيحية" والمعروف ان الانبا بيشوى، كان قد اعتبر فوز زيدان عن هذه الرواية بالذات بجائزة البوكر العربية مارس ٢٠٠٩ بـــأنه "تأصيل للتعصب ضد المسيحية".

وقال بيشـــوى "كان من المفروض على القـــائمين على هذه الجائزة مراعاة شعور الكنيسة القبطية"، مضيفاً "نحن ككنيسة وطنية وقـــفنا ضد كل ما يسئ للإسلام، وسبق وأن ورفضنا الرسومات المســـيئة للرسول.

وشبه فوز زيدان بالجائزة بفوز سلمان رشدى بجائزة مماثلة عن روايته" آيات شـــيطانية، مشـــيراً إلى أن هذه الجائزة ستشـــجع عن الأدب المناهض للأديان خاصة أن القـــائمين عليها "لم يكونوا متخصصين وغير مدركين للقضية التى ترصدها الرواية وتخالف الحقيقة".

يقع الكتاب الذى صدر عن دار أنطوان للنشر فى ٣٨٤ صفحة من القطع الكبير، ومن اللافت انه طرح فى الأسواق بســـعر ٢٠ جنيها للنسخة وهو سعر أقل بكثير من تكلفة الكتاب مما يشير بدلاله قاطعة إلى ان ثمة رغبة فى اتاحـــة الكتاب أمام أكبر عدد من المهتمين بما قـــد يثيره من خلافات مع موضوع الرواية.وإذا كان المؤلف يشير فى أكثر من موقع إلى علاقة صداقة وثيقة ربطته بيوسف زيدان إلا أنه يحرص فى الصفحات الأولى على توجيه رسالة عتاب موجهة لزيدان قـــائلا "إنه لم يكن يتصور أن الدكتور يوسف زيدان وهو يستضيفه أكثر من مرة فى مكتبة الإســـكندرية، ثم وهو يزوره فى دير القديســـة دميانة،



غلاف الكتاب

الهدايا والمحاضرات وصور المخطوطات، أنه كان فى نفس الوقت يكتب "أبشع كتاب عرفته المسيحية".

ويستخدم ما قدمه له من كتب ومراجع وشروحات كوســـيلة لمهاجمة الكنيسة والعقيدة المسيحية الأرثوذكسية.

ويرى بيشوى أن رواية "عزازيل" يمزج فيها الأدب الروائى بـــالتاريخ والعقيدة والشرح اللاهوتى، بنفس الأســـلوب الذى كتب بـــه "دان بروان" روايته المشهورة "شفرة دافنشى" وكســـب من ورائها ملايين الدولارات. وهنا لا تفوت القارئ ملاحظة رئيســـية وهى ان كتاب بيشوى يكرر ما اشارت اليه مراجعات صحفية اشـــارت إلى عناصر الصلة بين "عزازيل" وعمل دان بـــرون وهى عناصر نفاها زيدان جمله وتفصيلا. الا انه من اللافت ان بيشـــوى ذاته كان من تطوع وكتب كتاب بـــاللغة الانجليزية للرد على دان بــــراون ويذكر فى الكتاب بالتفصيل العناصر التى يعتقد انها منقولة من كتاب "شفرة دافنشـــى" (الصفحات ٣٠٢ وحتى ٣١٢).

ولكى يعطى بيشوى لكتابة قيمة تنجو به من تهمة اعتباره كتابا طائفيا يرى بيشـــوى أن كتاب "عزازيل" محاولة ل"تزييف حقبـــة من تاريخ مصر ومن ثم فهو جريمة فى حـــق مصر فالتاريخ الذى زيفه زيدان هو جزء من تاريخ المصريين كلهم فى فترة زمنية قرابة ال ٦٤٠ عاما قبل دخول العرب مصر، وليس تاريخ الأقباض المسيحيين وحـــدهم". إلا انه يعود فى صفحات كثيرة لوصف الكاتب ب "المســـلم" مما يشـــير بدلالة قاطعة إلى ان جزء كبير من مشـــكلة المؤلف مع "عزازيل" تأتى من كون مؤلفها مســـلما (ص ٣٢١) والملفت اكثر انه يتهم مطران مدينة "حلب" السورية بالتحالف مع مؤلف عزازيل لكون المطران ممن يتبنون العقائد النسطورية ولما فشل فى نشرها على حد – زعم المؤلف – عمد لنشرها من خلال رواية زيدان !!!!!!

ويتساءل سكرتير المجمع المقدس للكنيسة الأرثوذكسية "هل يصح أو يليق أن نتخذ من الديانة المسيحية العريقة والكنيســـة المصرية المجيدة مدعاة للتسلية والتزييف؟ وماذ سيكون رد الفعل لو قام شـــخص ما بتأليف رواية تناظر هذه الرواية وبنفس مستوى التزييف والتحـــايل "الذى يسميه زيدان إبداعا أدبـــياً" موجهة للديانة الإســـلامية؟ هل سيقبل أى مسلم غيور على ديانته المساس بمعتقـــداته وتزييف تاريخ الإسلام والتشكيك فى موروثاته ومسلماته، والإساءة إلى شخصيات قيادية يكن لها كل تقدير واحترام"؟

ويخصص الكاتب الباب الأول من كتابه لتنفيد ما وصفه بـــ "الأخطاء التاريخية" التى جاءت رواية عزازيل مستعرضا السيرة التاريخية لبعض الشخصيات التى جاءت فى رواية زيدان، نافيا ما ورد فى الرواية بـــأن الإمبراطور قسطنطين أحرق الأناجيل المتداولة فى ذلك الوقت ما عدا الأربعة المشهورة.

ورد الإنبا بيشـــوى على فكرة تحريض القـــديس كيرلس الشـــعب المسيحى على قتل هيباتيا، وتصوير رجال الدين الأقباط بصورة منفرة وتشويه صورة الرهبنة واعتبارها بدعة والمبالغة فى مديح نسطور فى رواية "عزازيل"! وفى البـــاب الثانى الذى جاء بـــــعنوان "الأخطاء العقائدية" يرد الكاتب على تشكيك زيدان فى الوهية المسيح وصلبه وموته، ويعرض شرحا مبســـطا لعقـــيدة الكفارة والفداء والثالوث والتجسد وعقيدة طبيعة المسيح بـــالإضافة إلى تعريف حـــرومات القديس كيرلس أو "لعنان كيرلس" كما يسميها زيدان.

وإلى جانب الحرص على ما يســـميه تعداد الاخطاء التاريخية واجراء مواجهة عقائدية مع موضوع عزازيل يهاجم المؤلف الرواية من زاوية اخلاقـــية إذ يرى أن جزء من مشـــكلته مع "عزازيل" لكونها رواية تهدف لتحطيم القيم الاخلاقية، ب "الاثارة الجنسية وتعليم الفتيات والشباب على كيفية ممارسة الخطيئة فى أبشع صورها"

بينما يعرض الانبا بيشوى فى الباب الثالث مقال "حقيقـــة عزازيل" الذى كتبه الباب شنودة بـــاب الإســـكندرية وبـــطريك الكرازة المرقســـية. ونشـــر فى جريدة وطنى (العدد ١٨٤١، ٦ ابـــريل ١٩٩٧أى قبل ظهور الرواية) وفى المقال ينكر البـــاب أن "عزازيل" اسم من أسماء الشيطان خلافا لما يشير إليه زيدان فى حوراته حـــول العمل.

ويختتم المؤلف كتابـــه بـــفصل بـــعنوان "النهاية الأليمة .. انتصار عزازيل" الذى قال فيه إن "الرواية لا تقدم أى فائدة ترتقى بالإنسانية أو تخدمها، بل رواية تهدم القـــيم الأخلاقـــية التى تحمى المجتمع من الانهيار وتهدم أيضا مجرد الإيمان بوجود الله وحقائق الإيمان المسيحى الأرثوذكسى"!

ويحتوى الكتاب على ملحق يتضمن صورا بالألوان للانبا بيشوى مع الدكتور يوسف زيدان تم التقاطها فى مكتبـــة الأســـكندرية وصورا لمخطوطات منها مخطوطة قبطية تعود إلى القرن الثامن تحوى وقائع من جلسات المجمع المسكونى الثالث فى عام ٤٣١م.

تستلهم مظاهرات حركة " كفاية "
وموضوعها الفساد السياسي فى مصر

◆

◊ المحـــــرر

قبل عدة شهور قامت نيابة حوادث جنوب القاهرة بالتحقيق مع مجدى الشافعي وهو مؤلف أول رواية مصرية مصورة لسؤاله فى محضر جنح بخصوص راويته الصادرة عن دار ملامح للنشر وهى دار تركز جهدها على تقديم ما تراه مغايرا لاتجاهات النشر الادبي السائدة فى مصر.

يومها لم يكن أكثر المتشائمين بامكانه أن يتخيل أن التحقيق قد ينتهى بمحاكمة جرت وقائعها مؤخرا لتضع الكتاب والناشر فى موضوع الاتهام بدلا من الاحتفاء بالرواية التى قد تكون أول رواية " جرافيك مصورة " فى الادب المصرى المعاصر.

ومن الغريب أن الكاتب وجد نفسه محاصرا بجملة من الاتهامات أولها : " صنع وحيازة وعرض مطبوعات وروسومات ورسوما يدوية واشارات رمزية بقصد الاتجار والتوزيع والعرض تتضمن الفاظا خادشة للحياء العام".

كن الأغرب أن التحقيق تحرك بناء على محضر تحريات من قبل البوليس ودار حول عبارات يراه ضباط البوليس انها خادشة للحياء او تتضمن اسقاطات لسياسية والعبارات مكتوبة بالعامية المصرية، وعلى الرغم من فجاجتها إلا أنها من العبارات الموجودة فى قاموس الحياة اليومية والمتداولة لا سيما فى أوساط الشباب الذين ابتكروا لغة تعينهم على التحايل والقفز فوق محظورات سياسية واجتماعية كثيرة.

وتبين أثناء التحقيقات التى تابعتها مراكز حقوقية كثيرة أنه قد تم ضبط ١١٨ نسخة من العمل من مكتبات مختلفة بمعرفة رجال البوليس.

ووفقا لبيانات تلك المراكز فإن النيابة استندت فى تحقيقها على مادتين فى قانون العقوبات المصرى تنص واحدة منها على " أن يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنتين وبغرامة لا تقل عن خمسة آلاف جنيه ولا تزيد على عشرة آلاف جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من نشر أو صنع أو حاز بقصد الإتجار أو التوزيع أو الايجار أو اللصق أو العرض مطبوعات أو مخطوطات أو رسومات أو إعلانات أو صورا محفورة أو منقوشة أو رسومات يدوية أو فوتوغرافية أو إشارات رمزية أو غير ذلك من الأشياء أو الصور عامة إذا كانت خادشة للحياء العام.



" مترو " أول رواية مصرية مصورة تحت حصار رقابى ومؤلفها يتعرض لمحاكمة أخلاقية وسياسية

وقد تقدمت بعض المراكز الحقوقية نيابة عن الناشر " محمد الشرقاوي " المدير التنفيذى لدار " ملامح للنشر " بالطعن على قرار المستشار رئيس محكمة جنوب القاهرة الابتدائية ، الذي أيد إجراءات ضبط ومصادرة الرواية. وفى الحقيقة يصعب متابعة هذا الملف دون التوقف أمام جملة من الأمور ، منها الأقرار بأن اقتحام دار النشر تم فى البداية بدون إذن من النيابة العامة بالتفتيش ومن ثم هو إجراء غير قانوني أما مصادرة الرواية فهي انتهاك صارخ لحرية التعبير كما اشارت إلى ذلك بيانات المراكز الحقوقية، والمؤكد أيضا أن ما جرى للرواية من ملاحقة من الصعب قراءته بمعزل عن مناخ عام تعيشه الثقافة المصرية انتج فى السنوات العشر الأخيرة مجموعة من المحامين وبعض رجال الدين الذين يستعملون حق التقاضى أما لأغراض اعلامية تدفع بهم إلى دوائر الضوء والشهرة أو لاسباب سياسية ومن الأمور ذات الدلالة فى تلك القضية أن المحامي الذي حرك البلاغ ضد الرواية من المحامين المنتمين إلى الحزب الوطني الحاكم والمعروف بملاحقته الصحفيين والمعارضين السياسيين بقضايا الحسبة السياسية : وهو نفسه الذي حرك من قبل إحدي قضايا الحسبة السياسية ضد الصحفى إبراهيم عيسى رئيس تحرير جريدة الدستور المستقلة".

كما يصعب قراءة ملف الملاحقة القضائية للرواية بمعزل عن محاولات استهداف ناشرها وهو احد الناشطين فى حركة كفاية والذي جرت محاولات عدة لا عتقاله اخرها فى العام الماضى على ذمة القضية التى عرفت اعلاميا ب " إضراب السادس من ابريل " الذي دعا إليه ناشطين على موقع " الفيس بوك " الالكترونى.

وعلى المستوى الفني بات من المؤكد بعد عام من صدور الرواية انها لم تجد استقبالا مهما فى الاوساط الادبية التقليدية إذ ظلت الحفاوة بها مقتصرة على جيل معين من قراء الادب، وهو الجيل المعنى بنتاجات " عصر الصورة " والساعى الى ابتكار وسيط أدبي له القدرة على استثمار التحديات التى فرضتها الوسائط الالكترونية على الادب بمفهومه التقليدي ، فالرواية كما جرى تقديمها فى العديد من المواقع الإلكترونية والمدونات السياسية التى احتفت بمضمونها هى أول رواية مصورة للكبار ، وهو نوع من الكتابة لم تعرفه مصر من قبل يسمى " جرافك نوفل " وبحسب تلك المواقع الالكترونية فإن هذا النوع من الروايات تتمتع فى

أهل الاختصاص وحدهم القادرون على تقييم الإبداع

برغم أن " الرقابة " كلمة موبوءة ومرفوضة لكنها فى بعض الأحيان تنال رضا المجتمع ويطلبها للحافظ على العموميات التى ارتضاها لمقاومة الانفلات أما أن تصبح الرقابة أداة فى يد جماعة بـ ـعينها توظفها لخدمة مصالح خاصة فهو أمر مرفوض ويؤدى فى مجال الاقـ ـتصاد على سبـ ـيل المثال إلى سـ ـيادة الاحتكارات والتحكم فى الأسواق وكذلك الحال فى شتى مجالات المجتمع.

إذا كانت الحرية نقيضها القيد والنظام نقيضه الفوضى فإن الأسـ ـوياء من البشر يحرصون على الطرفين الأولين من كل ثنائية أى يفضلون الجمع بـ ـين الحرية والنظام ضد القيد والفوضى لكن الاشكالية هنا فى تعريف الحرية إذ أن اى محاولة لتعريف الحرية هى فى حـ ـد ذاتها تقـ ـييدا وتحديدا لهذا المعنى الجوهرى.

إذا كانت الرقابـ ـة بـ ـهذا المعنى قـ ـد فرضت ضرورة وجودها فى المجتمعات الحديثة مع تطورها وتعقد أنظمتها إلا أن هناك ضوابط تحد من سلبـ ـيات الممارسات الرقابية يأتى فى مقدمتها أن توضع صلاحيات الرقابـ ـة فى كل ميدان من الميادين فى إيدي اصحاب التخصص أنفسهم فهم القادرون على ضبط وتقييم ما يتم من ممارسات داخل تخصصاتهم فكما توكل الرقابـ ـة الصحـ ـية للأطبـ ـاء فإن الفن أولى التخصصات الواجب احـ ـترام اختلافها وتميزها وكما تنتدب كل جماعة من بين صفوفها الاقدر على ضبط قـ ـواعد الممارسة المهنية فالفن والإبداع بصفة عامة يتصل بالعمليات العقلية العليا والاولى فى هذا النشاط ألا يقوم به وألا يراقبـ ـه ألا أهل التخصص ولو دخل الشرطي أو القاضي فى عملية الرقابة لفسد الامر كله.

أساتذة الأدب هم وحدهم القادرون على أن يمثلوا عين المجتمع على الابداع الأدبى وهم من يملكون القدرة على تقييم الابداع الأدبـ ـى وفقـ ـا لمسـ ـتواه الفني.

نحن مع الحرية بلا حدود ولكننا أيضا مع النظام بكل ضوابطه وضد كل قيد وكذلك ضد الفوضى ويشترط فى من يمارس الرقابة من المتخصصين أن تكون عيونه على مصالح المجتمع عامة ولا يعمل وفقا لمصلحة طبقـ ـة أو فئة ، أن تبقى هذه الصلاحيات فى أيدي أهل الاختصاص.

وما تشهده المحاكم من قضايا ضد حرية الفكر والابداع دليل على سمات تلك المرحلة الاستثنائية الى تشهدها مصر منذ ما يقرب من خمسة عقـ ـود والتى تتسـ ـع فيها اشـ ـكال الممارسـ ـة المختلفة للديمقـ ـراطية فى ظل الأنظمة البيروقراطية والأمنية المستبدة.

◆ دكتور عبد المنعم تليمة
(ناقد ادبي وأستاذ جامعى)



صفحات من رواية "مترو"

أوروبا والولايات المتحدة بشعبية كبيرة جدا كأحد فنون التعبير التى تنتمى للـ " بوب آرت " التى تمتد جذورها إلى خمسينات القرن الماضى والتى سعت إلى تصوير مظاهر الحياة اليومية والأحداث ، وعوالم الإستهلاك من خلال الرسومات".

وبداية هذا النوع من الكتابة المصورة جاءت – على حد تصريحات للمؤلف – من جانب رسامى الكاريكاتير الفرنسيين بمجلة هيراكاري الهزلية، وقد كانت مجلة جريئة لدرجة أن أحد رسوماتها قدمت شارل ديجول وهو يضاجع امرأة – تمثل فرنسا – مما أدي إلى وقف المجلة، وبعد ذلك انتشر فن الحكي من خلال الرسم وظهرت روايات من هذه النوعية، وحملت الواحدة منها اسم " الألبوم " كما حملت اسم الجرافيك نوفل فى الولايات المتحدة ، وقد كان أول ظهور لها فى فترة الخمسينيات بمجلة هيفي ميتال . ، أما التجارب العربية فى هذا المجال معظمها مكتوب باللغة الفرنسية أو الإنجليزية ومنها كما قال لى الشافعى تجربة الجزائري على موسي عام ١٩٨٠ والتى حملت عنوان جوجورتا ، وقد صدرت بالفرنسية وآخرها تجربة اللبنانية جومانة ميدريج ملاك السلام الصادرة بالانجليزية في نهاية العام قبل الماضى أما التجارب التى صدرت بالعربية مباشرة فلم تتعد على حد قوله كونها قصصا مصورة أو تسجيلا لمواقف قصيرة من خلال مشاهد مرسومه ومن يتابع سيرة كاتب الرواية يجد أنه من أبرز المعنيين بالترسيخ لهذا الفن فقد سبق له وأن أشرف على إعداد ورش عمل لفن القصص المصورة أو ما يطلق عليه " الجرافيك نوفل " وقد شجعه على كتابة الرواية الرسام والمصمم الجرافيكي الكبير محى الدين اللباد الذي تابع بعض القصص المصورة التى قدمها الشافعى فى الصحف المصرية خاصة صحيفة " الدستور المستقلة " التى أولت مؤخرا اهتماما بهذا النوع الفنى لاستثمار طاقته الاحتجاجية إلى جانب طابعة الساخر الذى اهتماما بهذا النوع الفنى لا ستثمار طاقته الاحتجاجية إلى جانب طابعه الساخر الذى يجتذب الفئات الشابة. ، أما موضوع الرواية التى يهديها كاتبها إلى " المدونين المصريين " حافل بالاسقاطات السياسية المباشرة والتى يجرى تمريرها من خلال متابعة قصة مهندس الإليكترونيات حانق على النظام الاجتماعى والفساد المنتشر فى مصر ويسميه " النفق " وفى محاولته للإعتراض على تلك الأوضاع يرتكب جريمة سرقة من أحد البنوك !! لكن صديقه الذي استعان به وهو ابن منطقة عشوائية يغدر به ويقوم بتهريب الأموال المسروقة والسفر خارج البلاد . وفى سياق مواز تستلهم الرواية فى موضوعها العديد من الوقائع التى حدثت فى مصر مؤخرا وأرتبطت بقضايا الفساد ومظاهرات الاحتجاج السياسى عبر شخصية " دينا " الصحفية صديقة البطل التى تتعرض للتحرش الجنسى خلال مشاركتها فى مظاهرات منددة بالتعديلات الدستورية فى مصر فى العام ٢٠٠٥ م وتسعى دينا بمعاونة البطل لكشف لغز من جريمة قتل ارتكبت بحق احد المقاولين أوصى قبل قتله بفضح من أسماهم " الحيالة" وذلك فى إشارة إلى مجموعة فاسدة من كبار رجال الأعمال وتنتهي الرواية بمحاولة من البطل وصديقته وهما فى محطة تحمل اسم الزعيم الراحل جمال عبد الناصر (لاحظ دلالة اختيار تلك المحطة بالذات) للخروج من " النفق " بينما يظل الحيالة خارجه . ويتبع المؤلف فى السرد " تكنيك " أقرب إلى الحبكة البوليسية إذ تأتى غالبيه الأحداث فى تدفق لافت وترتبط فى الأن نفسه بمحطات " مترو أنفاق القاهرة " التى تستغل كفضاء روائى إلى جانب استثمار الدلالة السياسية والاجتماعية والطبقية لاسماءها ، فالاحداث التى تجرى فى محطة تحمل اسم الزعيم سعد زغلول تنتج دلالات مختلفة عن تلك التى تجرى فى المحطة التى تحمل اسم " مبارك "

والرواية على هذا الحال لا تقرأ إلا بوصفها عمل احتجاجي بالدرجة الأولى تبقى قيمته محصورة فى السبق التاريخي وليس فى المنجز الفني، فصاحبها فضلا عن مغامرته فى اقتحام المحظور الرقابي، غامر كذلك باقتحام المحظور النفى عبر تقديم رواية مصورة قد تكون الأولى عربيا فى هذا المجال .

هيباتيا

فى حواره قبل جلسة محاكمته:
مجدى الشافعى:

◆ حوار : سمر نور



– الكوميكس أحد مصادر الدخل القومى فى اليابان بينما مصر تصادره !

– من يجتزأ الكلمات خارج سياقها هو من يخدش الحياء العام ولابد من محاكمته !

واجه رسام الكوميكس المصرى مجدى الشافعى أحداث متوالية خلال عام واحد لم يراها فى أصعب كوابيسه ، من فرحة صدور أول رواية مصرية مصورة " مترو " فى معرض الكتاب قبل الماضى ، وانتشاء نجاحها وانتشارها ، لصدمة مصادرة الرواية من قبل مباحث الآداب فى أبريل ٢٠٠٨ ، ليجد الصيدلانى المحب لفن الكوميكس نفسه متهما فى أقسام مصر ومحاكمها . وخلال أيام قليلة تعقد جلسة محاكمة جديدة ربما تكون الحاسمة فى قضية رواية " مترو " المصادرة والتى تواجه بسلسلة من الاتهامات وفقا لمواد قانون العقوبات .

وحظى الكاتب مجدى الشافعى والناشر محمد الشرقاوى بدعم كبير من قبل المثقفين خلال نظر القضية التى لا تزال محل للتداول فى المحاكم المصرية، فالمهتمون ينظرون لتلك القضية باعتبارها قضية حرية تعبير، ليس فقط طلبيعة الموضوعات التى تناقشها الرواية والتى تصطدم مع ما هو سياسى وإجتماعى ، وتعيد أحداث التحرش بالصحفيات ، وغياب العدل الاجتماعى وغير ذلك ، بل أيضا لكون الناشر محمد الشرقاوى ناشطا سياسيا تعرض للاعتقال من قبل . مما يكسب القضية أبعادا كثيرة.

فى حوارنا مع مجدى الشافعى صاحب الرواية المصورة يبدو الشافعى واثقا من إنفراج أزمته ، يمارس عمله بصورة طبيعية، ويعد لرواية مصورة جديدة ، ويقيم ورشة كوميكس بمشاركة كتاب وفنانى كوميكس شباب ، إلا أنه يعبر عن إنزعاجه الشديد من هذا الهجوم الذى يطارده من قبل من لم يقرأوه ، ويعبر عن صدمته وعدم تصديقه لما يحدث

-دعنا نبعد قليلا عن كل تلك الأحداث .. ونعود للبداية .. كيف جذب هذا الفن طالب كلية الصيدلة؟

تأثرت برسومات " هيجو بروت " الإيطالى والتى كانت تدور عن بطل الكاوبوي الذى يدافع عن الهنود الحمر، كنت مراهقا ودمر لى هذا الكوميكس مفهوم البعد الواحد للبطل، وحين سافرت فرنسا أثناء دراستى الجامعية بغرض دراسة الفن ، وجدت أنهم بدأوا هناك فى سبر أغوار الإنسان بتتابع كدرات فى رشاقة



وخيال وبخامات جديدة أحيانا، وبتنوع كبير فى الموضوعات حتى إنهم كانوا يتناولون أعمال تاريخية مثل كومكس " تادرى " الإيطالى الذى ترجمة أمريكا أعماله، وبـــدا هذا العالم مفتوح أمامي ، ووجدت أن الكوميكس لكي أتقنه لابـــد أن أكون على معرفة بـــكل التفصيلات الحيوية والشعبية والتاريخية المؤثرة فى ثقافة الناس، وعدت لدراستى فى كلية الصيدلة فى مصر، كان لدى رغبة فى امتلاك ادوات وتكنيك هذا الفن ، وساقتنى الصدفة للقاء الفنان جولى فى القاهرة عقـــب عودتى مباشرة ، ووافق على إعطائى دروســـا ســـاعدتنى كثيرا فى معرفة هذا الفن.

- كيف بدأت فكرة مترو؟

سيطرت على فكرة " لما لا يكون هناك قـــصة مصورة تعيد صياغة الواقع بوســـيط جديد ؟ ، لما لا أجرب ؟ ، وهنا جاءت فكرة " مترو " وفكرة الخلل فى العدالة الاجتماعية، لماذا يعاقب ناس بشـــدة وناس لا تعاقب على نفس الجريمة، كنت أعمل فى جريدة الدستور وأطلق يدي فى الكتابـــة، وكنت أكتب أيضاً فى الأهرام ولأنها قـــــصص موجهة للأطفال كنت أراعى البعد الأخلاقـــى دون موعظة، فأردت أن اعبر عن الواقع فى روايتى المصورة الأولى.

- طبيعة الرواية المصورة قد تغرى أكثر بالدخول لعالم الأساطير والخيال وفقا لمفهومنا البسيط لهذا الفن.. ما الذى قادك للواقع السياسى والاجتماعى؟

لما بدأت أول رواية مصورة لم أحب أن افتح مجالات خيالية بعيدة تنفر القارئ ، وآثرت أن أصيغها بشكل أقرب للواقعية، حتى لو كان لا يتبع خط زمنى، وحتى لو كان تفكيكى بنفس طريقة الحكى العادية التى قـــد تتطرق لموضوعات غير مترابـــــطة وخلفيات اجتماعية من أحداث ٢٠٠٤ و٢٠٠٥.

- هل كنت تتوقع أن تتسبب الموضـــوعات التى تطرقت لها فـــى عملك فى مصادرة الرواية؟

عملت فى " مترو " سنوات وأنا لا أعرف أن كان سيظهر للنور أم لا ، وصدمت مما حدث لأننى لم أكن أتخيل بأى حال من الأحوال إن عملى بهذه الأهمية التى تحرك مؤســـــات الدولة ، هل " مترو " خطير لهذه الدرجة ، هل يمثل خطرا فعليا على قرائه ! لم تكن لدى أجابـــات فكانت الصدمة هو التعبير الوحيد عن احساسي بما حدث، أتســـاءل هل رسم أحداث التحرش فى المظاهـــرات يستحق المحاسبـــة ، اعتقد أن التحـــرش ذاته كـــان أسوأ، ومـــا فعلته مجـــرد تسجـــيل فـــى



للواقع ، أنا لا أريد للناس أن ينسوا هذا الحدث، نتسامح فى أشياء لا يمكن نسيانها، نضع أسماء الخونة على شوارعنا ونمجدهم وننســـى أفعالهم، على حساب أسماء المستحقين للتمجيد، لا يصح التســـامح فيمن تحرش بالصحفيات، لا أقصد هنا الشق القانوني فقـــط، بـــل أقصد هذا التاريخ الفنى الذى سمحته لى أحداث روايتى، لما لا أفعل مادامت العمل يحتمل ذلك.

- ألا تجد معـــى أن هناك أسبابا أخـــرى للمصـــادرة؟

هذا جسم مرسوم بشكل مجرد يكمله عقـــل الانسان، وهذا منغرائب الكوميكس وقوانينه ، اعتقد أن هناك جزئية متعلقـــة بخلفية الناشر محمد الشرقاوى كناشط سياســـى وذلك هناك تربـــص بـــه ، وخلفية لها علاقة بالرواية المصورة بالكلمة العامية الشعبية المتسقة مع الشخصيات والأحداث التى التى يمرون بها، لكنى لم أتوقـــع أبـــدا أن يؤدى ذلك للمصادرة ، فكل جملة وضعت لخدمة موقـــف ولا يمكن انتزاعها من سياقـــها، عندما تأخذ لفظة وتجتزأها من سياقـــــها يجب محاكمتك، لقد كتبت تلك الألفاظ فى سياق روائى وخيال لشخصيات لابد أن تنطق هكذا ، وألا فعليهم محاسبة كل كاتب لشخصية حرامى مثلا باعتباره قد ارتكب الجرم ذاته، عن هذه المصادرة تضعنا فى سياق عبـــثى لا أفهمه، هذه رواية للكبـــار فقـــط، وأنا لم أتخطى الحدود فى الرسومات، فليصادروا اللوحات فى المتاحف والمعارض ، وليصادروا رسومات الكاريكاتير إذا لانها تعرى الجسم البشرى وفقا للتصورات المريضة، هناك ترصد بنا، عمر بن العاص نفسه حين فتح مصر لم تخدش رسومات الآثار الفرعونية حيائه، هناك حـــالة من المزايدة الأخلاقـــية والتعصيب الأعمى، يحاســـــبون بمعايير النفاق الاجتماعى بـــــينما الإحصائيات تشير إلى إننا أكبر مجتمعات تدخل مواقـــع إباحـــية على النت!

- هل تعتقـــد أن هنـــاك رأى عـــام ما قـــد يقف ضـــدك؟

تحبطنى تلك التعليقات على موقع الفيس بوك من ناس لم يقرأوا الرواية أصلا ويتعاملون مع الكلمات المجتزأة، ألا يمكن محاكمتهم هم على خدشهم الحياء العام بإجتزاء كلمات لا يمكن ان تســـتخدم دون سياق فنى ؟! يحاول البعض تصفية حسابـــاته ويتخذ فكرة أننا مجتمع شرقى كتهمة اخلاقية جاهزة ، أنا قدمت عمل يدين الفساد ويكرس لتمرد الإنسان على الواقع الغير عادل، ويضعه فى النهاية عند نقـــطة انطلاق ، بطلى خسر أمواله لكن كسب تمرده على الواقع، واكتشف

الرقابة وسيلة للإعلان عـــن قوى وأفكار منقرضة

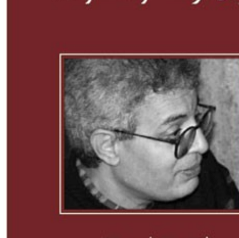
ارتبطت الرقابة منذ نشأتها ارتباطا قـــويا بـــأدوات الانتاج ففى فترة الأمبراطورية الإسلامية التى نتحدث عنها عادة بصورة من المبالغة فى القدر المتاح فيها من حريات لأدباء ذلك العصر ربما كان أحـــد أهم العوامل فى عدم تعرض الشـــعراء ومنهم أب نواس مثلا للمطاردات والتكفير الذى يتعرض له أدباء عصرنا محمدية القـــراء فقـــد كانت الكتب والقصائد مخطوطة وتنسخ منها مخطوطات قـــليلة توزع على النخبة من الأمراء والمهتمين بالأدب .

وقد اقترن اختراع الطباعة بظهور الرقابة ووضع معايير لها تختلف من زمن لأخر ومع ظهور المطبعة بـــدأت المصادرات خوفا من التأثير فى الجمهور العام.

وربما أعادتنا التكنولوجيا الحديثة مؤخرا بظهور " الأنترنت " إلى حالة من الحرية كانت متوفرة فى عصر ما قبل الطباعة إذ لم يعد بمقـــدور أى سلطة مصادرة الأبداع اليوم حتى وأن منعت نشـــر أو توزيع كتاب بعينه .

والفكر فهى فى اعتقادى لا تستهدف مصادرة الكتب بقدر ما تحتاج من آن لآخر الإعلان عن تواجدها وتأكيد تمتعها بـــالنفوذ فى المجتمع فهى تتبنى مواقف فكرية فى ظاهرها لتوظفها سياسيا فى صراعها ضد السلطة.

وقد اصبحت تلك القضايا التى تثار من وقت إلى آخر أشبه بتمثيلية



الشاعر عبد المنعم رمضان

سياسية مكشوفة يعلن خلالها كل طرف عن حجم هيمنته وقوته.

وفى بعض الحالات يسعى بعض الكتاب أنفسهم لتحـــريك التيارات الدينية ضد ما يكتبون لاكتساب شـــهرة وافتعال معارك تحرك الحياة الثقافية الراكدة . ويقـــف المجتمع فى كل الأحـــوال على هامش هذا الصراع فى ظل التفاوت الثقافى الواضح بين شرائحـــه مما يجعل فهم بعض الجوانب الملتصقة بالعملية الابداعية قاصرا على العامة وبالتالى يسهل اقتيادهم نحو الاتجاه المتشدد.

أنه لم يكفر أبـــدا فى صديقــــه الذى عاش ظروف متدنية، أردت أن اعكس نظرة الطبقات بعضها لبعض، وما قدمته بالرسوم قد يشرحها كاتب رواية بالكلمات فى صفحات طويلة ولا يحاسبه أحد.

- كيف وجـــدت الاستقبال الفنى لعملك ؟ هل هناك نقاد يستطيعون الكتابة عن هذا الفن الجديد فى مصر ؟

لم أقـــصد تقـــديم عمل عظيم بمعايير الأدب لكنى أعطى الفرصة لتذوق وسيط جديد، اخترت الواقع ويمكن أن يأتى اخرون ويقدمون قصصا أكثر خيالية أو تجريبية، فالباب مفتوح ولكن يبقى الكوميكس فنا مختلفا عن أى وسيط اخر فلا هو أدب ولا هو ســـينما ، ولا يمكن انتقاده بمعاييرهم، الضجة التى اثيرت حــــول " مترو " لا أريد أن يفهم منها أنها رواية خطيرة فنيا أو مانفستو للتغيير، لكنه عملا سهل التلقى وحظى باهتمام واسع من الجميع حتى ضبط مباحث الآداب!

هناك أعمال أخذتها السينما من الكوميكس ، كما اخذت من الرواية، لكن عند انتقاد عمل مصور لابد من انتقاده بمعاييره.

- بعد أيام قليلة قـــد يصدر حكما ضد مترو وقــــد تبرأ .. هل يمكننا التكهن بما سيحدث فى المحاكمة القادمة من واقع ملف القضية ؟

ليس كلاما إحتراسيا أو إكلشيها ، لكنى بالفعل أثق فى القـــضاء المصرى وأؤمن باستقلاليته، لا يمكن أن تحاسب الفنون بهذا الشـــكل البوليسى، أيام كان ماكارثى فى الخمســـينات فى فترة إظلام العقـــل الأمريكي، ظهر ما يسمى بـــ " كود أوف كومكس" ، شئ يشبه قانون الإعلام الموحد الأخير للسيطرة على ما لا يرضى السلطة، رأى الماكارثية أن هذا الفن سيغير من وجهة نظرهم فى أفكار النشأ، فلابـــد من وجود دائرة مطابقة " للكود أوف كومكس" للســـماح بـــوجود العمل وعدم مصادرته، فى الستينات والسبعينات ومع نقـــلة الفضاء والخيال العلمى أعطى للكوميكس مجال خصب للعمل وظهر الرعب، وفجأة تخلصت الناس مع حـــــركات التحـــــرر من " الكود أوف كومكس" واعتبر ردة على العقل الخلاق.

كيف نفكر نحن اليوم بنفس الطلايقة الظلامية، بـــينما تعتبر اليابـــان الكوميكس أحد مصادر الدخل القومى ويصدرونها بحقوق لأوروبـــا وأمريكا بمشتقاتها من أفلام كارتون وألعاب وغير ذلك ، وأصبحـــت إحدى روافد الدخل القومى، لكننا فى مصر أعملنا الأولى ونغلق باب جديد من أبواب الإبداع؟!

التطرف والإبداع .. خصام وفصام



◆ د . عمار على حسن

ينطوى التطرف أيا كان منهله ومبعثه وغايته ومقصده على جمود وانغلاق وقطيعة مع كل المسارات والطرائق التى تنتصر للحرية والتسامح والانفتاح على الثقافات المغايرة ، وقبـــول " الآخر " كما هو من دون التفكير فى جذبه واصطياده، أو إرغامه على أن يبدل ما يدور فى ذهنه، ويجيش بصدره، ويظهر فى تصرفاته.

وهذا الانغلاق يجعل المتطرفين، أيا كانت الأيديولوجيات الـــتى ينتمون إليها دينية أو لا دينية، على كراهية مع الحريات الثلاث ، التى تبدأ بالتفكير وتنتهى بالتدبير مرورا بالتعبـــير. ولأن حـــرية التفكير مطمورة فى ذهن الإنسان وضميره. لا يطلع عليها إلا ب العباد، فإن أحد لا يستطيع أن يجد ما يبرر عداءه لهـــا، لكنها إن ترجمت فى تعبير شفاهى أو مكتوب، أو طبقت فى تدبير يســـعى إلىنقل الأفكار إلى الـــواقع المعيـــش بحيث تصبح إجـــراءات ومشروعات ومؤسسات ملموسة ومحسوسة، فإنها تلوح فى عين المتطرفين، وتظهر لهم جهارا نهارا، فيسعون إلى خصامها بـــكل السبل الممكنة لديهم.

والإبداع ، تعبـــيرا وتدبـــيرا، هو عمل خلاق، يتجاوز الحدود المألوفة المستكينة، ويستنهض الطاقات الخامدة والخاملة، ســـواء كانت عقلية أو نفســـية أو روحـــية، وهو هنا يجرح المتطرف فى اعتقاده وتصوراته، ويهز أركان منظومته الجامدة، ويسبـــب له نوعا من التوتر النفسى، الذى لا بد له من إنهائه، ويثير أمامه لونا من التحدي لابد له من أن يستجيب إليه، بقدر ما يستطيع.

كما أن طبيعة الإبداع تصطدم بالبنية العقلية للمتطرف، لأن هذه البنية تعتمد على أمرين أساسيين الأول هو حفظ ما هو منصوص ومكتوب، وتكراراه والاستمتاع بهذا ، والتوهم بـــأن حشـــو الذاكرة بـــالمعلومات، أيا كان مصادرها، يجعل صاحبـــها يمتلك ناصية العلم. وربما يعود هذا إلى طبيعة التعليم الدينى بعد إغلاق باب الاجتهاد. ففى الزمان الأول، وأيام العهد الزاهر للحضارة العربية – الإسلامية، كانت المعرفة قائمة على المحاججة والمراجعة والمساءلة واستخدام المنطق، أى باختصار كانت تعلي من شـــأن العقل، وتطلق طاقـــته الفياضة للبحـــث والدرس. أما في زمن الانحطاط فقد اكتفى الناس بـــترديد النصوص كالببـــغاوات، وحفظ ما تركه الفقهاء والمفسرون الأولون، والاكتفاء به، فيما اختصر الإبداع الأدبي فى تلخيص القديم أو شرح بـــعضه أو جمع المتفرق منه. ولم يفلت نظامنا التعليمي الحالى، خارج المؤسسات الدينية إسلامية ومسيحية، من هذه الآفة، فأغلبـــه يخاطب أردأ الملكات العقلية وهذه الذاكرة، ويعتمد على الحفظ والترديد.

أما الأمر الثاني فهو التفسير الحرفى والشكلى للنصوص ، دينية أو غير دينية . فالمتطرف، يستسلم تحت وهم التزامه بـــالأصول إلى تفسير ظاهرة النصوص والمواقـــف والأشـــياء، دون التمعن فى بـــواطنها ومراميها. وهذا النوع من التفاســـــير مريح ، خاصة لأصحاب الأذهان الكســـولة، التى تعودت أن تأخذ ما تجده فى طاعة عمياء، وتضفى قداسة على ما انتجه الفقهاء والمفســـرون الأولون من آراء وأحكام وتخريجات، ولا تريد أن تنظر إلى أى جديد، ولا تؤمن بأن علماء اليوم هم الأولى بالتصدي لمشكلات زمانهم، لأنهم أكثر دراية بها.

والحفظ عملية لا تتماشى مع الإبداع، الذى يتجاوز الترديد إلى الفهم والإدراك والربط والنقد والابـــتكار، واســـتخدام هذه الملكات العقلية ينجم عنه فكر وفعل يشتبك مباشرة مع ما يقبض عليه المتطرفون من أفكار سطحـــية ومعارف هزيلة، ويحاول أن يدضها ســـواء فى صمت أو عبر الصخب الذي تخلفه المناقشـــة ويزلق إليه الحوار والجدل. وتلك المحاولة تعنى تقـــويض الركائز التى يســـتند إليها المتطرفون فى تبرير مواقـــــفهم، والدعاية لها، والتمسك بها والاستفادة منها، ماديا ومعنويا.

لكل هذه الأسباب والخلفيات لا يمر عام إلا ونرى المتطرفين قـــد شمروا عن سواعدهم، وأطلقـــوا ألســـنتهم، ضد عمل أدبى أو اختراع علمي أو رأي طبى، بدعوى أنه يمس العقيدة أو يجرحها، ويتحدثون وكأن فقرة فى رواية، أو جملة فى قصة قصيرة، أو بيت شعر، أو مشهد فى فيلم ســـينمائى، يمكن أن يهدم دينا ، ويؤذى أتباعه إيذاء أليما.

إلا أن الإنصاف يقـــتضى منا ألا نتغافل أو نتجاهل مســـــألتين جوهرتين، الأولى تتعلق بإمكان أن يبدع المتطرف والثانية ترتبط باحتمال أن يتطرف المبدع. فمثل هذه الظواهر الإنسانية معرضة للتبدل والتغير، صعودا وهبوطا ولا أقصد بإبداع المتطرف هنا

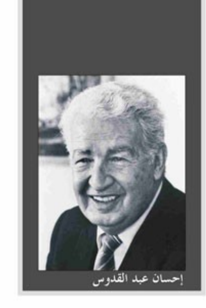
نصر حامد ابو زيد

هو شفائه من داء التطرف العضال، وتحوله إلى صفوف المبـــدعين. ففى هذه الحالة نكون أمام وضع جديد، لا يوصف صاحبـــــه بـــالمتطرف، ولا ينتمى إلى زمرة المتطرفين، بـــل ينضم إلى جماعة المبدعين، بكل صفاتها وسماتها المعروفة والمألوفة.

أما الثانية فمتواجدة، بلا انقـــطاع، ومتعينة بـــلا إنكار، فكثيرا ما نضبط مبدعين كبار فى حالة تطرف شديد، حين يستبدون بـــرأيهم، وينغلقون عليه، ويحرمون " الآخر " أيا كان من حـــرية اعتناق رأي مخالف. وبعض هؤلاء يعتلى مؤسســـات، أو تســند إليه مهمات ، يستغلها فى فرض ما يرى وما يريد. ويزيد بعضهم على ذلك بتمنى اســـتئصال المخالفين له والمختلفين معه، والتحـــالف مع الســـلطة المستبدة ، بغية تحويل هذه الأمنيات إلى واقع.

لكن المشكلة لها وجه آخر يرتبـــط بـــفريق من الأدبـــاء والكتاب يغازلون الغرب فى نصوصهم، لأن هذا من شأنه أن يفتح الطريق أمام ترجمة أعمالهم للغات الأجنبية. وهنا تصبـــح التجارب الجنســـية، الغارقة أحيانا فى الابتذال والسوقـــية، وقـــضايا مثل اضطهاد المرأة وتدنى حقوق الأقليات والحريات الدينية، هى المحاور الأساسية التى تدور حولها بعض الأعمال الروائية والقصصية، وبعض السير الذاتية ، على حساب القضايا المصيرية بالنسبة للدول العربية مثل الحريات السياسية والإصلاح الدينى ومحاربة العوز والتخلف الاقـــتصادى والتمسك بالجوانب الايجابية فى الخصوصية الحضارية.

وبالطبع فإن المسائل المتعلقة بـــالمرأة والأقـــليات مهمة أيضا، لكن النصوص المراد الحديث عنها فى هذا المقام تبالغ فى رسم السلبيات، بما يجعلها تشذ تماما على الواقع وتبتعد كثيرا عن الحقيقـــة، لأن هذه المبالغة تروق للعقل الغربى، وتخدم مصالح قوى معينة، ومن ثم ترحب دور النشر والهيئات والسفارات الأجنبية بترجمتها. ويقـــع هؤلاء، المتهمون بالانتهازية وعدم الأصالة، فى فخ أوهام عديدة، منها أن


إحسان عبد القدوس

هذا النوع من الكتابة ينزع نحو العالمية، ويتناسون أن البـــناء الأكبر نجيب محفوظ حصد نوبل من الحارة المصرية الضيقة.

وهناك موجه تسرى فى الوسط الأدبي العربى تسمى " التحرر الكامل من القيود " فى لحظة إبداع النص ، سواء تلك المرتبطة بالضوابـــط التى يفرضها الدين أو الأعراف التى يتمسك بها المجتمع أو الكوابح السياســـية العديدة. وهذه الموجهة، إن كانت فى جانب منها تمثل تقليدا أعمى للآخر، فإن هناك أعذارا كثيرة قـــد تبـــيح ســـريانها واســـتمرارها . فالأجواء الخانقـــة للكتابـــة فى العالم العربى جلعت الطلب على الحرية يزداد، ولأن هناك قوة ملموسة بـــيدها أدوات البطش مثل السلطة السياسية فإن هذا الطلب تتم إزاحـــته من مجاله الرئيسي وهو السياسية إلى مجال الأخلاق والقيم الذي يرتبط بقوة غيبية أو مثل لا يجلب تحديها أو الخروج عليها ضررا يماثل أو يكافئ ذلك الذي يترتب على النزعة إلى الحرية السياســـية. هنا يحضرني تعليق لأحد القراء على قاص مصري شاب امتلأت روايته بالابتذال الجنسى والتطاول على الذات الإلهية ، حـــيث تســـاءل : هل كان بمقدور هذا الروائى أن يوجه اكلمات التى تضمنها نصه بحـــق الله سبحانه وتعالى إلى وزير الداخلية مثلا؟ والإجابة بالطبع لا .

وبعض الكتاب قد يجدون فى " الكتابـــة العارية" ما يلفت الانتبـــاه إليهم، وسط رواج هذا النوع من الثقافة والفن في مجتمعات حديثة ماديا، بما جعلها نهمة إلى استهلاك كل شـــئ، بما في ذلك النصوص التى تدغدغ الغريزة الجنسية، أو تفضح العلاقـــات المحرمة، أو تلك التى تسب الجميع، وتقلل من شأن قامات فكرية وسياسية لا يختلف عليها الناس، على غرار السيرة الذاتية للفيلسوف المصري الدكتور عبد الرحمن بدوي، التى جاءت حافلة بالشتائم ، مدفوعة برغبـــة فى الانتقام من الجميع وتصفية حســـابات شخصية وأحقـــاد لم يدفنها الزمن ، أو السيرة الذاتية لسهيل إدريس التى صور فيها أبـــاه كان " شاذ جنسيا" وراح يستطرد فى سرد هذا الجانب الخفي من حياته، أو السيرة الذاتية لجلال أمين، التى كشف فيها عن العلاقة الفاترة بـــين أمه وأبيه المفكر الكبـــير أحمد أمين، وأظهر كيف كان يعاملها بجفاء، وكيف أنها لم تحبه طيلة حياتها، وظلت عواطفها معلقـــة بأبـــن خالها الذى لم يتزوجها.

وبعض هذا النوع من الكتابة يظلم الحرية حين يتزلق بها إلى تفلت،


عبد الرحمن بدوي

ويظلم من يناضلون من أجل تحقيق هذه القيمة الإنسانية العظيمة فى واقعنا المعاصر، حين يحصرها فى مشكلات جنســـية ذاتية، تصل إلى حد الشذوذ . وهذا النوع المتفلت من الكتابة لا يعدو كونه سهاما تقذف ليس فى معركة الحرية بل ضدها، لأن هناك مبدأ أساســـيا فى الحرية ، وهو أن " حرية الشخص تنتهي حين تبدأ حـــرية الآخرين"، ومن ثم يصبح إيذاء الناس فى معتقداتهم، بالتهكم عليها، أو فى قيمهم الخلقية، بالإسهاب فى الحديث عن الشذوذ الجنسي، هو من قبـــيل الاعتداء على الحريات العامة. فالاعتراف بمشـــكلات اجتماعية ، حتى تلك التى تحاط بعشرات الخطوط الحمراء، يمكن أن يتم بصورة لائقة لا تؤذى مشاعر ولا تجرح ذائقة . وهنا يتحـــدث النقـــاد عن الفرق بين الكتابة الجنسية المقصودة لذاتها، والتى لا تخرج عن دائرة الأدب الرخيص، والعلاقات الجنسية الموظفة فى سياقـــات أكبر من أجل تحصيل رؤية أو معرفة أو عظة ما ، أو لضرورة فنية، مثل لفت الانتباه من خلال النص الروائى إلى علاقة الفقر بانتشار العلاقـــات الجنسية المحرمة، كما فعل يوسف إدريس، أو على العكس من ذلك تماما، كما فعل إحســـان عبـــد القـــدوس فى فضحـــه للضيقـــة الأرستقراطية.

لكن كل ما سبق لا يعنى أننا يجب أن نقبل أدبا وعظيا، فهذه ليست وظيفة الفن بأي حال ، كما يبدو من غير المستساغ أن يلبـــس من يسطر سيرته الذاتية ثوب خطيب المنبر أو الكاهن لكن المطلوب منه هو تقديم ما يهم من تجربته بأفراحها وأتراحها، دون التعريض بأحد أو الأعتداء على الحريات العامة. وبالقدر نفســـه لا يجب أن تجعلنا هذه الملاحظات ننساق وراء من يتربصون بالأدب، ســـواء كانوا أفرادا أم مؤسسات دينية، بحيث إذا ما أثيرت قضية حـــول عبـــارة جنسية وردت فى أحد النصوص .

الناشر المتهم بافساد الاخلاق العامة

محمد شرقاوي: حرية الإبداع فى مصر مرهونة بمزاج ضابط أداب

حوار : محمد فرج


محمد الشرقاوي مدير دار ملامح

دار " ملامح " للنشر واحدة من دور النشر المصرية الجديدة التي بدأت تأخذ مكانها في السنوات الأخيرة، ورغم أن عمر الدار لا يتجاوز السنتين إلا انها انتهجت لنفسها خطا منذ البداية وهو تشجيع المواهب الجديدة وخاصة اصحاب الأعمال الأولي، من هذا المنطلق تحمست الدار لنشر رواية " مترو " والتي تنتمي لنوع ادبي جديد على الذائقة المصرية وأن كان موجود فى اوربا وامريكا منذ الخمسينات . وفوجئت الدار باقتحامها ربيع العام الماضى لمصادرة " مترو " من قبل شرطة الآداب بحجة أن الرواية تحتوي الفاظا وروسومات تخدش الحياء العام . الرواية الآن تنتظر حكم المحكمة الاخير حول براءة الكتاب أو تأكيد مصادرته.

التقينا محمد شرقاوي مالك الدار ومديرها المسئول . محمد الذي كان معتقلا وقت مداهمة الدار هو أحد ناشطي حركة كفاية وسبق اعتقاله عدة مرات بسبب نشاطه المعارض. لنري كيف يرى ما حدث من موقعه كناشر شاب يهتم بتشجيع التجارب الجديدة وتأثير حادث " مترو " على نشاط الدار بشكل خاص وعلي حركة النشر والتعبير بشكل عام ومواقف كلا من الدولة المثقفين من المصادرة .

بداية لماذا برأيك حدث ما حدث ؟

ليس لدي اسباب مباشرة – أو ربما مقنعة – لكن بالتأكيد لدي افكار ما حول أسباب ما حدث منها انتفاضة الدولة الفجائية وتذكرها أن لها دورا يتعلق بحماية الاداب والقيم والاخلاق العامة فى مصر ورأت في كتاب أصدرته دار نشر مملوكة لأحد الناشطين السياسين – والذي كان معتقلا وقت مصادرة الكتاب – وهذه الدار تعبر عن اتجاهات فنية جديدة كما تعبر عن المعارضة الجديدة .

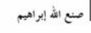
فمن الممكن ان يكون تحرك الدولة تعبيرا عن حمايتها للاخلاق او خوفا من نشاط الدار او خوفا من فمن جديد مثل " الكوميكس " يمكن أن يوصل افكار وهموم الناس بطريقة بسيطة يمكنها أن تصل إلى الكثيرين ويتفاعلون معها لا استطيع الجزم بدقة عن السبب المباشر وان كنت اعتقد أن كل هذه الآسباب تصلح لتفسير ما حدث .

- يحمل الأمر اذن ظلالا سياسية؟

بالتأكيد وكان ذلك أمر واضحا . فالذين قاموا بمصادرة الكتاب كانوا يعرفون ما الذي يريدون بالضبط، وحدث ذلك وقت احتجازي، وهناك جانب في الموضوع متعلق بحجم دار النشر ونوعية ما تشجعه عبر اصدارتها يلعب دورا مؤكدا.

- لكن من ناحية اخري الا تري أن للتيار المتشدد ومحاميي الحسبة دور فى إثارة الموضوع؟؟

الدولة فى حادثتنا تحركت علي اساس احد مصادرها السرية وقامت بحملة مداهمة الدار ، فلو كانت هذه المصادر السرية هي الاسلاميين فهذه كارثة حقيقية بكل المقاييس.



صنع الله إبراهيم

علاء الأسواني

لكن دور محامو الحسبة في حادث المصادرة جاء هذه المرة بعد . الحركة الأولي قامت بها الدولة ممثلة في مباحث الاداب . وهم حتي لا يحضرون جلسات المحاكمة فهناك قضايا اخري كثيرة هم محروكها الاوائل وهي الأولي بالنسبة لهم.

- كيف تري استقبال الوسط الثقافي لحادث المداهمة والمصادرة ثم المحاكمة ؟

لاشيء على الإطلاق . التغطية الاعلامية غير مواكبة للحدث فعند المداهمة لم تتابع الحدث ألا صحيفة " البديل " فقط ثم حالة من الصمت التام . وهذه مصيبة كبيرة في حد ذاتها. وعند المحاكمة نفس حالة الصمت، وهذا أمر اشعرني بالتوتر فاين كل الاصوات المطالبة بالحرية والمدافعة عن حرية الرأي والتعبير . كل ذلك اختفى

- لكن قبل ذلك عند وقوع حالة من المصادرة كان هناك اشكال متعددة من التضامن لماذا برأيك لم يحدث ذلك مع حالة "مترو" ؟

حالة الصمت التى خيمت على محاكمة مترو يشوبها التواطؤ . فوقت المحاكمة لم اسمع اي صوت وبعدها بخمسة أيام صدر حكم وقف مجلة " ابداع " فلم أتخيل كم الاصوات التي تعالت ضد هذا الحكم .

ففجأة عندما ألغيت مجلة هى أحد اذرع الدولة – التى تحمي الاخلاق العامة – انتفضت الاصوات المنادية بالحريات بما فيها رؤوس المؤسسة نفسهم بداية بفاروق حسنى ووحيد عبد المجيد ، وهى التي صمتت تماما فى حالة " مترو " فالدولة ترسخ لثقافة " المنع " من ناحية " والسماح " من ناحية اخرى والمثقفين ينساقون بمنتهى الاستسلام للخط الذي ترسمه الدولة . ولا أطالب بان تدافع الدولة عنا ، فسنحاول بأنفسنا الحصول على حقوقنا ، ولكن انا مندهش من موقف المثقفين . فحالة الصمت لم تكن مفهومة تماما فالحدث نفسه كبير فهو يسجن مصر كلها فى مزاج ضابط اداب .

ولكن فيما بعد ما جعلنى استشعر عدم أهمية التعويل على جماعة المثقفين وجود شخصية مثل صنع الله ابراهيم يتابع الجلسة عبر محكمتين من الساعة الثامنة والنصف صباحا و مواقف لمكاوي سعيد وعلاء الاسواني واحمد اللباد واحمد العايدي ومحمد علاء الدين اشعرتنى أن القيمة لا زالت موجودة ، والوسط الثقافي ليس فى ذلك على اطلاقه.

- لكن القيمة هنا موجود بشكل فردي أكثر منه تحرك جماعى؟

ولكن لا يوجد من البداية اي تحرك جماعى فلا يوجد سبب مقنع بالنسبة لي يفسر حالة الصمت المضروبة حول القضية فأسماء عديدة انتظرت منها ان تتخذ موقفا ولكنها التزمت الصمت تماما اسماء تعلمنا منها ومن مواقفها رغم أن ارسلنا للجميع نطالبهم بالمساندة .

- ذكرت بعض الصحف انك طلبت شهادة فاروق حسنى وزير الثقافة وجابر عصفور مدير المركز القومي للترجمة ؟


فاروق حسني

كان ذلك مجرد اقـــــتراح مني، محاولة يمكن ان تطلق عليها " مؤامرة سياسية "، مجرد مناورة ففاروق حسني الذي رشح نفسه لرئاسة اليونســـكو ومنوط بـــه ان يدافع عن حـــريات واثار وثقافات العالم، ولا يأخذ موقفا فى حالة مثل " مترو "

ولكن مع د . جابر عصفور الامر مختلف لقد ذهبت بالفعل إليه وقابلته فى مكتبه . وذكر لي أن الروية لا تحتوي علي ما يسيء . وان الدار تقوم بمجهود متميز ويجب " علينا " جميعا أن نســـانده ولقد ذهبت إلي جابر عصفور لان الرجل قـــيمة فى حـــد ذاته، فبـــعض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف حـــول كون عمله مع المؤسسة الرسمية، فقد تعرض ولا يزال لنقـــد من الاســـلاميين الرجعيين ، وهو فى النهاية فى خندق المثقفين والمبدعين . وقال لي أنه علي استعداد للشهادة وقد كتب مقـــالا متميزا فى الأهرام أكد فيه هذا المعني .

- بعد هـــذا الموقف كيف تري تطور حالة " التخلى " من جانب جمـــاعة المثقفين لدار جديدة ويفترض انها تشجع التجارب الفنية الجديدة؟

أن ما يحدث فى حالة " مترو " هو جزء مما يحدث للدولة كلها . فالنظام الذى يغـــازل المتطرفين احيانا ويزايد عيهم احيانـــا في "حماية اخلاق "، وفى الوقت نفسه يمارس القمع والسجن وينتهج سياسات الافقار وتخريب التعليم، ويقـــوم على محو كل الخدمات الجتماعية التي كانت تقدم من قبل . ويقـــتل اى انتماء يشعر به المواطن البسيط تجاه هذه البلد . نحن جزء من هذا كله . دار نشـــر تصدر كتبـــا ، كلمات في النهاية. والنظام يخاف من الكلمة. مثل خوفه من تجمع الناس أو وجود ما يمكن ان يجمـــع الناس علي أي ارضية جديدة ضده . وبالنسبـــة لموقـــف جماعة المثقـــفين فمن لم يدافع اليوم هو في النهاية لا يدافع عن نفســـه بالاساس فحالة الحصار ستطوله غدا. ونحن نواصل فعملية النشر لم تتوقف لدينا كتاب فى المحكمة ولكن الباقي يواصل الصدور.

- كيف ترى تاثير ذلك على القاريء المحتمل الذي تبحث عنه ؟

كلنا تربينا على فكرة ان الكتاب الذي يتعرض للمصادرة، يجب الحصول عليه وبالتالي هو يشكل مكسبا بشكل ما لدار النشـــر لكن فى حالتنا لم نقـــم بطبـــاعة الكتاب مرة اخرى . فليس من اهدافنا الربح السريع ثمة كتاب ينتظر حكم قـــضائى ، ســـنرى كيف ستكون نتيجته . أنا أوزع نســـخ الكتاب الباقـــية مجاناً، أليست هناك رغبة فى منع هذه النسخ القليلة ؟ فليكن سأحـــاول أخراجها كلها لتصل إلى الناس.

فأنا لا أحب أن يعرفني القارىء كدار نشـــر نخرج كتبـــا تهدد " الأخلاق العامة " ليست هذه الدعاية التي أتمناها لـــ " ملامح " ، الأن لنا أسلوب اخر للوصول للقـــارىء المحتمل الذي يمكن أن اخسره بهذا الشكل من الدعاية . فشهرة الدار تصنع بقوة وفنية وليس نتيجة لمصادرة كتبها بتهمة خدش الحياء العام والدعارة

هيباتيا

مطلوب نخبة جديـــدة لحماية الحرية

دكتور كمال مغيث (خبير تربوى)

على الرغم من الانتشار الواســـع للفضائيات وتقـــنيات نقـــل المعلومات فإن مصر تشهد فى هذه الحقبة أعنف، اكثر أشـــكال الرقابة صرامة وقسوة وغباء فى الوقـــت نفســـه وهناك مظلتان أساسيتان تعمل تحتهما الرقابـــة الحالية أولهما يتمثل فى الرقابـــة المرتبطة خطاب الدينى المتطرف وثانيهما الرقابـــة التى تفرضها أجهزة لنظام المستبد الذي يرفض كل أشـــكال الديمقـــراطية والتعددية السياسية.

وتظهر تجليات النوع الأول من الرقابـــة فى مطاردة الكتاب والمثقفين والمفكرين التى وصلت إلى حدودها القصوى فى اغتيال الكاتب فرج فودة ومحاولة اغتيال الأديب الكبير الراحل نجيب محفوظ والتهديد بقـــتل كل من مكرم محمد أحمد " نقـــيب الصحفيين الحالى " والمستشار محمد سعيد العشماوى والدكتور سيد القمنى كما تتجلى ممارسات هذا التيار فى محاولات التنكيل بحياة المفكرين كما حدث مع الدكتور نصر حامد أبـــو زيد أو الحصول على غرامات مالية من الأدبـــاء كما جرى مع الروائى جمال الغيطانى والشاعر عبد المعطى حجازى ودكتور جابر عصفور والشاعر حلمى سالم. وإذا كانت المظلمة الراقبية الدينية تمارس هذا الشكل العنيف مع المشاهير فمن باب أولى أن نتوقع ما تمارسه على المواطنين البســـطاء وربما يكون الخوف من تلك السلطة سببا وراء انتشار مظاهر التدين الشكلى.

أما مظلمة الرقابة الخاضعة للنظام فقـــد تبـــدو أهدأ لكنها اكثر صرامة إذ أنها توظف القـــانون والماديات والمناصب لملاحقـــة المثقفين وتنكل بمن لا يتفق مع توجهاتها وترجمهم من الترقى.

وتقـــف هاتان المظلتان أمام محاولات تعديل التشـــريعات التى تتناقض مع حرية الرأى والتعبير بما تملكانه من سلطة ونفوذ الخروج من هذا المأزق يتطلب إعادة تشكيل نخبـــة قـــوية من الليبراليين والعلمانيين للوصول إلى توافق عام حول أهمية اتاحة الحرية المطلقـــة التى يحدها إلا عنصرين يتصل أولهما بـــعدم استخدام القوة لفرض الرأى والثاني عدم ازدراء أو تحقـــير أى عنصر أو دين أو انتماء للغير وهذان هما حدي الحرية التى تسمح بتغير المجتمع وتخلصه من سلبياته .

الفقية القانوني الدكتور محمــد نور فرحات:

النظام القانوني الرسمي يساند التيار السلفي ضد حرية الرأي والتعبير

◆ حوار / رشا حسني



يعد الدكتور محمد نور فرحات أستاذ فلسفة القانون بجامعة الزقازيق أحد أبرز المدافعين عن حرية الرأي والتعبير على مستويات عدة محليا وعربيا ودوليا وقد خاض من خلال المناصب التى تقلدها معارك عدة فى هذا الأطار وساعده عمله فى أكثر من ساحة عربية ودولية على أن يرى صورة مفصلة لما تتعرض له مصر من أزمات ليست بمنأى عن الوضع القانوني الذي صار يتصدر المشهد كلما طرحت قضية حرية الفكر والرأي والابداع .

شغل د . فرحات مواقع عدة جعلته قريبا من تتبع ملف الحريات من بينها كبير مستشاري برنامج الأمم المتحدة لحقوق الإنسان فى منغوليا من عام ١٩٩٥ حتى ١٩٩٦ و كبير مستشارى الأمم المتحدة لحقوق الإنسان فى أوزبكستان من عام ١٩٧٥ حتى ١٩٩٩ . والمستشار القانوني لاتحاد الصحفيين العرب.

وأسهم بدور كبير من خلال عضويته كممثل لنقابة الصحفيين باللجنة التى شكلت منذ ما يقرب من عامين لبحث امكانية تعديل القوانين الخاصة بقضايا الشنر بهدف منع حبس الصحفيين.

ناقشنا الدكتور فرحات فى الدقائق القليلة التى اقتنصناها من أجندة عمله فى بعض الموضوعات المتعلقة بالحرية من وجهة نظر قانونية لا تنفصل عن الممارسات الفعلية.

- نحو أي اتجاه يمضى منحنى حرية الرأي والتعبير فى مصر؟

حرية الرأي والتعبير كما نعلم منصوص عليها فى الدستور ومنصوص عليها فى المواثيق الدولية التى صدقت عليها مصر وهى العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية مادة ١٩ ، منصوص عليها فى الإعلان لحقوق الإنسان الذي له قيمة الزام الأغلبية على كل دول العالم لكن الأمر لا يتعلق بالنصوص الدستورية أو الدولية وإنما يتعلق بالممارسات الفعلية وهذا موضوع يطول فيه الحديث.

- إذا حاولنا رصد مدى استجابة الجانب القانوني لتوفير هذا النوع من الحريات المنصوص عليها دستوريا ودوليا كيف تبدو الصورة؟

على مستوى التشريع العادى معلوم للجميع أن هناك كثير من النصوص التشريعية التى تقيد حرية الرأي والتعبير سواء فى قانون العقوبات أو فى القوانين الخاصة، يكفى أن نعلم أن قانون العقوبات فى الباب الرابع عشر من الكتاب الثانى معنون ب " الجرائم التى تقع بواسطة الصحف وغيرها وبه عديد من النصوص التى تمثل قيودا شديدة الوطأة على حرية الرأى والتعبير بالاضافة الى نصوص اخرى متناثرة فى قانون العقوبات نفسه أو فى قوانين خاصة اخرى متعددة.

بماذا تفسر تزايد الدعوى التى تشهدها المحاكم المصرية ضد الإبداع الأدبي في الأونة الأخيرة؟

التهديد الذي تواجهه الرأي والتعبير فى مصر ليس فقط تهديدا رسميا من قبل السلطات العامة لكن أيضا هو تهديد من قبل الجماعات الى تحاول أن تعود بمصر عصورا إلى الوراء فنجد عديد من القضايا رفعت ومازالت ترفع على المفكرين والمبدعين ويكفي فى الاشارة إلى ذلك أن أحد رجال الدين رفع عديد من الدعاوي على كثير من الصحفيين والمفكرين بتهم أقلها السب والقذف وأقصاها أزدراء الدين وهناك مفكر مصري حكم بتفريقه عن زوجته لأنه أجرى بحثا علميا – سواء اختلفنا أو اتفقنا معه – بتهمة الخروج من الملة والارتداد عن الدين الإسلامى.

هناك صحف صدرت أحكام بمصادرتها لأنها نشرت قصيدة اعتبرتها المحمة نوعا من الهرطقة .

إذا التيار السلفى يمثل أحد التهديدات المباشرة لحرية الرأى والتعبير وللأسف النظام القانوني الرسمى يمثل بشكل أو بآخر سندا لهذا التيار.

والرقابة التى تمارس على حرية الرأي والتعبير وبما فى ذلك حرية الابداع تعود إلى المؤسسات والمجتمع معا وهما يتنافسان فى القسوة والتضييق على الحرية.

فى رأيك لماذا تعثر إصدار القانون الخاص بمنع حبس الصحفيين فى قضايا النشر؟

هو لم يتعثر ، ما حدث هو أن السيد رئيس الجمهورية كان قد أصدر وعدا بالغاء عقوبة الحبص فى قضايا النشر، شكلت لجن بقرار من رئيس الوزراء وكنت أحد اعضائها ممثلا لنقابة الصحفيين لتنقية القوانين العقابية من عقوبة الحبس فى قضايا النشر، فوجئنا بأن الحبس فى قضايا النشر هو عقوبة منتشرة كالنمل فى ثنايا قانون العقوبات وثنايا قوانين اخرى مثل قانون المطبوعات، قانون الأحكام العسكرية، قانون المخابرات العامة وبالتالى كانت تنقية قانون العقوبات وبه عشرات المواد التى تعاقب بالحبس فى جرائم متصلة بحرية الرأى والتعبير وليس بالنشر فقط وتنقية القوانين الأخرى تفوق قدرة لجنة فنية مشكلة تنفيذ وعد رئاسى فى ظل فلسفة حاكمة لا تؤمن كثيرا بالليبرالية ولا تؤمن كثيرا بحرية الرأي والتعبير.

فكان من المفترض وفقا لبعض المشروعات التي قدمت أو بعض التصورات التي طرحت أمام اللجنة أن تصاغ مادة واحدة تنص على أن تلغى عقوبة الحبس فى الجرائم التى تقع عن طريق النشر الصحفى لكن هذا المادة بهذا الشكل كانت تحمل شبهة عدم الدستورية لأنها تميز بين مظهرين من ماهر التعبير عن الرأي: إذا تم عن طريق النشر الصحفي فلا حبس أما إذا تم عن طريق غير النشر الصحفى تطبق عقوبة الحبس فهي لا تكفل للأستاذ الجامعي علي سبيل المثال أبداء رأيه فيما تتيح للصحفي ابداء نفس الرأي منشورا فى جريديته وفي هذا اما يخل بمبدأ المساواة أمام القانون.

- وكيف تجاوزتم تلك العقبة؟

كان خيارنا الأخير الذي أخذنا به وطبقناه هو تتبع مواد قانون العقوبات مادة بمادة ففي بعض المواد التي كان الحبس فيها وجوبيا حولنا العقوبة لتصبح " الحبس أو الغرامة "

أما المواد التى لم تكن بها صياغات غير منضبطة تسمح بتعسف سلطة الاتهام فقد قمنا بضبط هذا الصياغات وكان أهم انجاز حققته التعديلات إلغاء عقوبة الحبس فى جرائم السب والقذف إذ أن ٩٠ % من الجرائم التى كان الصحفيون يقدمون للمحاكمة بسببها كانت جرائم سب وقذف سواء كانت فى حق الموظف العام أو في حق آحاد الناس ووفقا لتلك التعديلات التي نجحت اللجنة فى اجرائها اصبحت عقوبة مثل تلك الجرائم الغرامة التي لا يتجاوز فى حدها الأقصى أربعين الف جنيها.



عودة ترخيص إبداع لا تعني نهاية المشكلة



أحمد عبد المعطى حجازي

خلال عملية إعداد هذه النشرة للطبع أمرت المحكمة الإدارية العليا بالسماح بصدور مجلة " إبداع " المصرية مجددا، والتى تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، بعد أن قضت بوقف تنفيذ الحكم الصادر بسحب ترخيصها ووقفها عن الصدور بسبب نشرها قصيدة "مسيئة للذات الإلهية" وقضت هيئة المحكمة بإحالة الموضوع إلى هيئة مفوضى الدولة للنظر فى الموضوع، وأكدت فى حيثيات الحكم أن إلغاء ترخيص الصحف بوجه عام لا يدخل ضمن اختصاص القضاء وأن محكمة القضاء الإدارى تصدت للقضية بصورة غير صحيحة.

ومن اللافت للنظر أن المحكمة أكدت ضرورة اتخاذ كافة الإجراءات التأديبية والجنائية الرادعة – على حد وصفها – ضد كل من شارك فى نشر هذه القصيدة التى اعتبرتها " مسيئة " ، للموافقة على نشرها فى وسائل الإعلام تحت شعار الإبداع أو حرية التعبير.

وقررت المحكمة فى حيثيات حكمها الصادر برئاسة المستشار إبراهيم الصغير يعقوب نائب رئيس مجلس الدولة إحالة القضية إلى هيئة مفوضى الدولة لإعداد رأى قانوني بها، لتعود المجلة إلى الصدور مجدداً بعد شهرين من التوقف.

و"هيباتيا" تنشر هنا شهادة للشاعر حلمي سالم بشأن ما جرى



كانت مجلة " إبداع " التى يرأس مجلس إدارتها الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي نشرت منذ أكثر من عامين قصيدة للشاعر المصري حلمي سالم بعنوان " شرفة ليلى مراد " .

وعلى إثر نشر القصيدة أقام المحامي سمير صبري دعوى قضائية تطالب بإلغاء ترخيص المجلة التي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب التابعة لوزارة الثقافة.

ومن جهته اتهم مجمع البحوث الإسلامية الشاعر المصري حلمي سالم بـ " الكفر والزندقة" .

حالة " اهتراء قانوني"

تغيب المجتمع عن معركة الحرية



◆ الدكتور وحيد عبد المجيد
نائب مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام
ونائب رئيس هيئة الكتاب

لا توجد رقابة مباشرة فى مصر إلا على الأعمال المرئية والمسموعة فيما تبقى الرقابة غير المباشرة هى الأكثر تأثيرا بالنسبة للابداع الأدبي والفكرى المطبوع وتنفذ هذه الرقابة أما من خلال المبدعين أنفسهم أو من خلال المجتمع وما يفرزه من عناصر تحاول أن تضع نفسها فى محل الأمناء على عقيدة المجتمع وثوابته وقيمة وغيرها من المسائل الأخلاقية غير المحددة.

وربما ادى أرخاء قبضة الدولة على الأعمال البداعية مؤخرا إلى فتح الباب أمام الأدباء للتوسع فى استخدام أشكال أكثر تعبيرا وجرأة مما ألب بعض الفئات التى لا أظنها معبرة عن المجتمع إذ أن مفهوم المجتمع وتأثيره فى مثل تلك القضايا غائب تماما فى ظل ما يعانيه من تردى مما يتيح الفرصة للكتطرفين لاتخاذ مواقف متشددة واستغلال صمت المجتمع وإنشغاله بقوت يومه والوكالة عنهم فى تلك المعارك لا اعتقد أن هناك مخرجا من هذا الوضع الملتبس فس الأفق المنظور لأن الأمر يتطلب عملا منهجيا منظما لمواجهة تيارات الرجعية وللتصدى لحالة الاهتراء القانوني .

والاشكالية هنا أن من يمتلكون الرغبة فى التغيير لا يملكون أدوات هذا التغيير أو يفتقدون الخطة الواضحة والقدرة على المواجهة والمثابرة فى سبيل ذلك مما يجعل المحاولات الفردية التى تتم من طرف أو أخر عديمة الجدوى فى ظل غياب الرؤية الواضحة والتعاون الخلاق.

هيباتيا

شهادة حلمى سالم :

يتبرأون من القصيدة .. ويعبرون فوق جثة الشاعر



حلمى سالم

– المشكلة الجوهرية فى قضية "ابداع" ومعها قصيدتى "شرفة ليلى مراد" ليست فى الشيوخ الذين يرفعون القضايا ضد الأدب والمنابر الأدبية. فمن الطبيعى أن يكون منظور الشيوخ للأدب منظورا ضيقا متزمتا، يقوم على الحلال والحرام، ويرى فى النص الأدبى وثيقة تقريرية مباشرة، لا رؤي مجازية تتطلب القراءة المجازية الواسعة، لكن المشكلة الجوهرية هى فى الأرضية الدستورية والقضائية والقانونية التى تمنح هؤلاء الشيوخ سنداً قويا فى الاجتراء على الأدب ومحاكمته هذه المحاكمة البوليسية المترصدة. وأقصد بهذه الأرضية: الأساس الدستورى الذي يعطيهم بالمادة الثانية فى الدستور ذلك الدعم المتين للاجتراء . وأقصد قانون الحسبة الذى موهت علينا السلطات " بعد واقعة نصر حامد أبو زيد " فنقلت البت فى بلاغات الحسبة إلى النيابة العامة ، حتى ظننا أن الأزمة انفرجت، وكنا واهمين.

صحيح أن أحد بنود الدستور يقر حرية الرأى والتعبير والاعتقاد، لكن كثيرا من بنوده الأخرى وكثيرا من القوانين الشارحة له تنسف هذا الإقرار نسفا كاملا، بالكثير من الاشتراطات الكابحة. والمحصلة أن الدستور يقر حرية الرأى والتعبير والاعتقاد بيد، ويسلبها بيد ثانية وهذا هو التناقض التراجيدي الذى يعيشه بناؤنا القضائى والسياسى والاجتماعى والثقافى، وأى سعى ديمقراطى جاء للحركة السياسية والثقافية المصرية ينبغى أن يتوجه إلى هذا الأساس الجوهرى لأنه الجذر المدمر للحرية فى البلاد.

– ساهم الموقف غير الصلب الذي اتخذته إدارة المجلة " مع بدء الأزمة فى نيسان (أبريل) ٢٠٠٧ فى تعقيد الأمر كله رئيس هيئة الكتاب. ناشرة المجلة، سارع بمصادرة العدد الذي يحتوي على القصيدة، خوفا من هياج التيارات الدينية فى مجلس الشعب (البرلمان) عليه ، واستجابت إدارة تحرير المجلة لقرار رئيس الهيئة " الضابط السابق " . وسارع رئيس تحرير المجلة أحمد عبد المعطى حجازى ونائبه حسن طلب إلى تبرئة النفس وإلقاء الكرة فى ملعب الشاعر. فصرح رئيس التحرير فى أكثر من تحقيق وحوار صحافى ، بأن فى القصيدة مباشرة واستسهالا يسمحان للقراءة الدينية المتزمتة أن ترى فيها شططا. وكتب نائب رئيس التحرير مقالا شهيرا يقول فيه أن إدارة المجلة نشرت القصيدة لأن شاعرها معروف ومسؤول عن شعره. وأن فى القصدية ركاكة فنية فضحت تجاوزها الدينى، فلم تستطع القصيدة تغطية ذلك التجاوز بالفنيات الجمالية التى تجعلنا نستسيغ التجاوز.

وهكذا : على جثة الشاعر، غسل المسؤولون عن المجلة أياديهم من القصيدة التى نشروها بأنفسهم، ولم تدس عليهم سرا بليل ، بدلا من أن يدافعوا عن حرية الإبداع وعن حق الشاعر والمجلة فى الحرية ، حتى لو اقتضى هذا الموقف المبدئى أن يستقيلوا من مواقعهم انتصارا لحرية الرأى والكتابة . بهذا الموقف غير الصلب اعترفوا أن فى القصيدة ونشرها تجاوزا ومساسا ، فأعطوا بذلك مبررا مجانيا لمن يريد أن يقاضى المجلة والشعر، وهذا ما حدث فى البداية، ويحدث حاليا.

– على رغم ذلك الموقف غير الصلب الذى اتخذته إدارة المجلة حينها، والذى نجنى بعض حصاده المر الآن، فإننا جميعا نرفض أن يغلق منبر أدبى أو ثقافى بسبب قصيدة أو لوحة او قصة ، ونهيب بالحياة الثقافية المصرية أن تقف فى وجه هذا النوع القانوني من محاكم التفتيش وقهر الأدب والأدباء، وأن يتكاتف المثقفون فى سبيل الايستفتى الشيوخ فى الأدب، والتأكيد على أن التصرف السليم والكريم، فى مثل هذه الحالات. هو تشكيل لجنة من المتخصين فى النقد والأدب، للفصل فى الأمر، حتى لا يستفرد الفقهاء وحدهم بالأدب.

– كان المصريون ومازالوا يفخرون منذ بدء النظام القضائى المصرى بنزاهة هذا القضاء واستقلاله، وللقضاء فى ذلك مآثر باهرة سامقة. ولكن العقود الثلاثة الأخيرة كشفت أن هذا القضاء اخترقته سهام سلفية كثيرة، أثرت على هذه النزاهة وذلك الاستقلال. والسبب فى ذلك هو المناخ الظلامى الذى ساد منذ هذه العقود الثلاثة، ووقوف القضاء فى تلك العقود الثلاثة على " المرجعية" نفسها التى يقف عليها الشيوخ، وهى المرجعية التى توفرها المادة الثانية من الدستور وقانون الحسبة والقوانين التى تكبل المواد الداعمة للحريات وتفرغها من محتواها الحقيقى، وهكذا : صار القضاء " سلاحا " ف يد السلفية الدينية المتزمتة.

– للمرة الأخيرة أقول إن قصيدتى " شرفة ليلى مراد " ليس فيها مساس بالذات الألهية ولا ازدراء للأديان ، بل إن فيها – على العكس نفحة صوفية لمن يريد أن يرى ، ولمن ليس فى قلبه غرض أو مرض، وفيها تنزيه لله عن البطش والاستبداد والإيذاء، وهى تأكيد على أن الله رحيم خير محب للفطرة والخصب، وهو يمتحن قدرة عباده على فعل الخير وعلى مواجهة الشر والقبح والذل.

ناصر الانصاري

القراءة الحسنة النية سترى هذه المعانى فى القصيدة كما فعل النقاد والمتخصصون فى الأدب ، بل وبعض الشيوخ المنفتحين . اما القراءة سيئة النية فسترى فيها عكس ذلك ، كما رأت القراءة البوليسية التى قام بها بعض الشيوخ التمربصين .

– نحن لا ندعوى إلى الحرية المطلقة فى الأدب، إذا ليست هناك حرية مطلقة فى أى منشط من مناشط البشر فى المجتمع، كل حرية مشروطة، وحرية الأدب مشروطة بالسجال الأدبى ، فإذا كان ثمة نص به شبهة تجاوز أو شطط، فمواجهته لا تكون بالحبس أو البلاغات أو العقاب الجنائى، بل تكون بمساجلته ومقارعته ونقده ونقضه فكريا، هكذا يقول الدين الحنيف " وجادلهم بالتى هى أحسن" .

– كم هى مخيفة ومرعبة هذه الظلامية التى يجسدها أو يصورها هؤلاء المتربصون بالإبداع : ظلامية تسقط للعباد كل شاردة وواردة، تكمن للناس والأدباء والفانين خلف الزوايا لتصطادهم وتوقع بهم من كلة أو لوحة أو فيلم . أليسوا – بهذه الصورة المرعبة التى يصورون الدين بها – يسيئون إلى الدين ويزدرونه ؟

– لماذا لا يرفع هؤلاء الذين عينوا أنفسهم نوابا دينين على الأرض قضايا ضد وزير الداخلية بسبب تعذيب ضباط الشرطة للمواطنين " المسلمين " حتى الموت فى مراكز الشرطة ؟ الجواب أن النواب الدينيين على الأرض لو رفعوا هذه القضايا سيدفعون ثمن ذلك غاليا وفى التو ، وبذلك يكون موقفهم باهظا مكلفا ، وهم يحبون الدين الذي يرفعون له القضايا التى لا ثمن لها.

– الأدب هو روح المجتمع، والحرية هى روح الأدب، فإذا قتلت روح المجتمع. وحسبنا الله ونعم الوكيل.



انتعاش الكتابة الساخرة

وسيلة جديدة لمواجهة القمع والرقابة ؟

◆ تحقيق : علا الساكت



ظهرت فى الفترة الأخيرة الكثير من الأفلام الساخرة، التى تتناول أوضاع مصر السياسية والاجتماعية، إذ شهد العام الماضى خروج ما يزد على الـ٢٠ كتابا يندرج تحت مفهوم الأدب الساخر.

الملاحظ أن عدة كتب صدرت تلك الكتب وضمن عنوانها أسم "مصر" التى يسخر منها الجميع ، وركزت على موجة الاحباط التى تجتاح المصريين صوب سوء الأحوال فى بلدهم، مثل " مصر ليست أمى .. دى مرات أبويا " لاسامة غريب و " مصر المفروسة " و " احترس مصر تراجع إلى الخلف " لد . محمود عطية و" السكان الأصليين لمصر " لبلال فضل و " مصر على كف عفريت " لجلال عامر و " مبسوطة يا مصر " لأشرف توفيق و " كشرى مصر " لحسن كامل وغيرها.

وهو ما يطرح السؤال حول زيادة أعداد الكتابات الساخرة ، وما إذا كانت هناك علاقة مشابهة لتلك التى ربطت بين الكتابة الساخرة منذ نشأتها وبين حرية الرأى والتعبير ومحاولة التحايل على القمع.

يذكر أن الكتابة الساخرة فى العصر الحديث ولدت على يد الكتاب والمناضل المصرى عبد الله النديم (١٨٤٥ - ١٨٩٥) الذى لقب بخطيب الثورة العرابية، حيث أصدر مجلته " التنكيت والتبكيت " التى عدت لسان حال الثورة فى وجه الخديو توفيق، وتحايلت على رقابة القصر الصارمة، ومن بعدها توالت الكتابات الساخرة فى وجه قيود السلطات السياسية على اختلاف أشكالها .

لعل سر هذا الارتباط الوثيق بين الكتابة الساخرة والتحايل على القمع يعود لكونها تتسم بمرونة جعلتها أقرب للقراءة ، وأسهل فى المرور من تحت أيدي الرقباء على مدار التاريخ، ومن هنا كان سؤالنا لمجموعة من الساخرين الجدد حول العلاقة بين السخرية والرقابة وهل مازالت الكتابة الساخرة مرهونة بمساحة القمع.

أكد الكاتب والسيناريست بلال فضل أن الوضع كان مختلفا حين بدأ الكتابة، وروي لنا: " هذه الظاهرة بدأت فى ٢٠٠٥ مع صفحة "قلمين" بالإصدار الثاني جريدة "الدستور"، التى كنت أعدها بمشاركة رسام الكاريكاتير عمرو سليم، ولم يكن هناك ما يؤكد أنه يوجد مساحة حرية تتحمل السخرية خصوصا وكل شئ فى مصر له علاقة بشخص الحاكم " ، وأوضح : " كون الرئيس يسمح بحرية الصحافة لا يعنى أنها أضحت حرة، لأن أى أزمة فى النهاية تحل بقرار رئاسى وليس تشريع قانوني، لذا فنحن نكتب ونشعر أننا فى مهب الريح " .

وأعتبر صاحب كتاب " مصر على كف عفريت " جلال عامر أن الكتابة الساخرة تساهم فى فضح الكثير من قضايا الحقوق المهدرة ، وقال : " تبنيت قضية التعذيب بأقسام الشرطة منذ وقت طويل فى عدة مقالاتى، وهناك الكثير من الموضوعات لا يمكن كتابتها بالطريقة العادية ويكون الرمز هو الحل، الأن تناولها بشكل جاد يلزم الكاتب بتوضيح الأسماء والبيانات التى قد تعرضه للمسائلة والملاحقة".




بلال فضل

عمر طاهر

وأشار الكاتب الصحفى د . محمود عطية إلى أن كل أشكال الكتابة تتجه لا ستخدام الحيل وقال: " أحيانا تكون السخرية نفسها حيلة ضد القمع، وفى أحيان أخرى حيلة أمام الفجوة التى يقف أمامها أى كاتب يريد أن يوصل فكرته لقارئ صار من الصعب الوصول إليه نظرا لضعف ثقافته، فالكتابة الجادة كثيرا ما تتعالى على القارئ".

لكن البعض يرى أنه ليست هناك علاقة بين الكتابة الساخرة والقمع السياسى. منهم الكاتب عمر طاهر (صدرت له حوالى أربعة كتب ساخرة أشهرها " شكلها باظت ") فأكد : " لا يتعلق الأمر بالقمع السياسي، فالسخرية طريقة مثلها مثل أية طريقة للتعبير" ، وأضاف طاهر " مانشيتات الجرائد أكثر جراة من الكتابة الساخرة " .

لذا رفض طاهر الربط بين العدد المتزايد للكتابات الساخرة وبين مساحة الحرية ، وقال: " للأسف كثير من الناس يحبون السطو على الأفكار ونجاح الأخرين، فإذا راج كتابا ساخرا يسارع بإصدار كتابا ساخرا وإذا كانت الرواية تبيع اكثر يسارع إلى الرواية".

بالمثل رأى جلال عامر أن " الكتابة الساخرة موضة الأن ، وهناك كثير من الكتاب يستسهل أى شئ له رواج رغم صعوبة هذا الفن".

وتابع عامر: " الكتابة الساخرة تزايدت بعد المرور بثلاث خطوات، أولها : اختزال فن المسرح فى الكوميديا واختفاء أشكال المسرح الأخرى، ثم زحف الكوميديا على السينما ، وأخيرا على الصحف ، والسبب فى المراحل الثلاث هو الرواج لا الموهبة".

ومن جهة أخرى يرى البعض أن تنامى الظاهرة كان سببا فى انتقادها، بحجة أن الكتب الرديئة تطغى على الموهبة الحقيقية والبعض أكد أن الحكم للقارئ.

فكاتب مثل هيثم دبور يرد السبب فى تنامى الكتابات الساخرة إلى خروج جيل جديد بعد انقطاع وقال : " كل الألوان الأدبية تشهد أجيالا جديدة كذلك الكتابة الساخرة ، فالرواية والشعر والقصة تشهد زيادة مطردة فى النشر " ، وأستأنف " هذه الكتابات سوف يفرزها القارئ لينتقى ما هو أ:ثر جودة وهذه حالة صحية تماما، فإن يكون لون من الفن محبوس فى جيل معين هذا خطر ولدينا من الفنون ما هو مهدد بالانقراض مثل أدب الرحلات " .

فيما رفض بلال فضل وصف أعداد الكتب الساخرة بالمتزايدة وقال : " زيادة الكتابات الساخرة شئ غير حقيقى، فبالنسبة لسبعين مليون هذا الرقم لا يذكر " .

لكن د . محمود عطية الذى خرجت سخريته من قلب مؤسسة صحيفة قومية هى أخبار اليوم قد تفسيرا آخر للظاهرة، وقال: " السخرية فى مصر علاج مناسب لحالة الاكتئاب العام الذى يعيشه الشعب المصرى، ومن الطبيعى أن تزيد النكت فى عصور الظلام ، لذا فمن الإجدى أن تنتشر الكتابة الساخرة الأن ".

وروى عطية بداية اتجاهه للسخرية : " لم أكن أكتب بشكل ساخر قبل ذلك إلا أنى شعرت أنى أريد أن أصرخ ، وأن يسمعنى الناس ، فكانت السخرية صرختى " .

ووصف عطية الساخرون الجدد بـ " كتاب الشوارع " وقال : " هؤلاء الكتاب يخاطبون شعب أمى وغير قارئ بعد حالة طويلة من





الاغتراب صنعها كتابنا الكبـــار " ، وأضاف " مصر لن ينصلح حالها إلا بمخاطبة المجموعة الأكبر من الناس ، لا الصفوة والكتابة المنمقة " .

بيد أن النزول للشارع واستخدام تعبيراته كانت من السلبيات التى انتقدها الناقد الادبي فاروق عبد القادر إذ قـــال : " لا أرى كتابا ساخرين بعد محمد عفيفى، فالســـخرية لا يمكن أن تكون البذائة والابتزاز الذى يمارســـه البـــعض للتربـــح، أو الكلام بسوقية".

جدير بالذكر أن الكثير من النقاد يقفون موقف عبد القـــادر إذ يرون أن الكتابة الساخرة الأن أخف من أن يتابعها أحـــد، لذا يعزفون عن قراءتها والكتابة عنها ســـواء بالاشـــادة أو النقـــد واعترف دبور أن هناك الكثير من الكتابـــات تتســـم بـــالخفة والسطحية، لكنه دافع قائلا : " فكرة الوقوف عند الســـطح لا تخص الكتابة الساخرة وحدها، فكل الكتابات الادبية قد تقف عن حد الامتاع ولا تعنى بتوصيل أي معاني وقد تتعمق لتنقـــل أفكار ما " .

ومن جهته برهن عطية على أن نظرة الاستخفاف التى يتبـــناها البعض وصب الكتاب الساخرون ليست فى محلها ، قـــائلا : " أعلى الكتاب أجرا فى العالم كله هم الكتاب الساخرون، كما أن الســـخرية تحتاج من الابـــداع أضعاف ما يحتاج إليه الصياغة المباشرة ".



عرض كتاب

القضاء حين يجهض حرية الرأى والتعبير

الكتاب: فقه المحاكمات الادبية والفكرية : دراسة فى الخطاب والتأويل
المؤلفة : وفاء سلاوى
الناشر : مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان ٢٠٠٨
عدد الصفحات ٤١٢ صفحة

◆ عرض : أحمد زكى عثمان

لطالما اجتذبت فكرة العداء الذي تناصبه قوى سياسية وفكرية معينة لحرية الفكر اهتمام قطاعات واسعة من الباحـــثين الذين يحملون هذه القـــوى مسئولية التردى الفكري والثقافي فى المجتمعات الإسلامية عامة والعربـــية خاصة .

لكن فى كتاب الأكاديمية المغربية وفاء سلاوي والمعنون " فقـــه المحاكمات الأدبـــية والفكرية : دراســـة فى الخطاب والتأويل" فتح جديد على صعيد ظاهرة تقييد الحق فى حرية الرأي والتعبـــير من خلال التركيز على " منصة القضاء " كساحة لانتهاك حق الأفراد فى " حرية الرأى والتعبير " بمختلف مظاهرها من الإيماء إلى الكلمة الشفوية مرورا بالقـــول العادي وصولا إلى العمل الفنى الأبداعى والفكرى.

وتدافع سلاوى عن أهتمامها بالقضاء فى الرقابة على الأعمال الإبـــداعية بالقول إن حرية الرأى والتعبير، فى العالم العربي بـــاتت ضحـــية " إرهاب فكرى " من قوى ومرجعيات تبغى أغراض ومقاصد ضيقة، وتعتمد وسيلة أثيرة لإنجاح هدفها فى رقابة العمل الأدبي والمتمثلة فى الاحـــتماء بســـلطة القضاء ، وبترسانة القوانين التى تضع حدودا على إعمال حريات الكفر .

وقد عرف التاريخ الإنساني الموغل فى القـــدم " المحاكمة " كفعل يرمي إلى إجهاض حرية التعبير، مثلما حدث مع سقراط (٣٣٩ ق . م) الذى وقف أمام أول محكمة فكرية فى التاريخ والتى أعـــدم على إثرها بسبب أفكاره ومناقشاته التى مست بالسلطة والمجتمع ،

وفى العصر الوسيط تعرض الفقهاء والفلاسفة لضغوط هائلة . ولعل أبرز ما يحفظه التاريخ من هذه الضغوط محنة خلق القرآن عهد الخليفة المأمون التى ذاق بسببها أحد الأئمة الأربعة " احمد ابـــن حنبـــل " صنوفا من التعذيب والتنكيل .

كما أفرزت المؤســـسة الكنيسة فى نفس العصر أنماطا متنوعة من الرقابة على أشكال الإبداع المختلفة، بهدف السيطرة والتحكم فى الشروط الإنتاجية للمعرفة العلمية والمعرفية، فمارست " سلطتها الجبرية على مختلف الأفكار والنظريات التى تخرق منظومتها الدينية، وهو ما عرض مجموعة من العلماء فى العلوم الطبيعية إلى الإعدام، بســـبب نظرياتهم المخالفة لرؤية الكنيســـة للعالم ، حيث كان يتهم العالم بالمروق ومخالفة يسوع وأفكار أرســـطو مثلما حصل لجليليو كوبرنيكس".

وتميز سلاوي ما بين درجتين تحددان استجابة الملتقى ودرجة التقبل، أولهما بنية التقبل الإيجابي والتى تكشف عن نجاح عملية التواصل التى تقـــوم على نوع من التصالح مع الخطاب. أما الثانية فهي بنية التقبـــل الســـلبى والتى تنطوى على رفض المتلقى للعمل الإبداعي بوصفه إما مساسا بشـــخصه أو بفكرة أو بوضعه الاعتبارى، أو حين يعتبر المـــرء المنتج الفكـــرى مضـــرا بالصالح العام أو الآداب العامة ، أو بوصفه يشكل إهانة لعدد من المقدسات تتنوع ما بين الدينى والوطني.


د. طه حسين

يحيل تمييز سلاوى لدرجات استجابة المتلقى إلى تحليل أبعاد التناقض ما بين فريقين يتباينان فى التعامل مع المنتج الإبداعي.

يرى الفريق الأول فى الأعمال الإبداعية منتجا اجتماعيا يخضع ولا شـــك للنقاش والنقد والمساءلة، لكن من خلال أعمال ابداعية موازية أو " القلم بالقلم " على حد تعبير المستشار محمد سعيد العشماوى.

خلافا لهذا الفريق، تراهن الدولة الحديثة على حقيقة أن هناك شـــكلا من أشكال التجريم ناجم عن العمل الابـــداعي أو القـــولى، ولذلك أستقـــر الخطاب القـــانوني داخل دول العالم على تجريم أشـــكال متنوعة من أوجه الإدلاء بحرية الرأي والتعبير، مثل الخطابـــات التى تحمل مضامين الكراهية الدينية والعنصرية ، أو تلك التى تمس المقدسات .

وخلال القرن العشرين اشـــتغلت حربـــا خفية حـــينا وعلنية فى كثير من الأحيان بين هذين الفريقين مما نجم عنه تعرض عشرات العناوين للمحاكمة والمنع والمصادرة، الأمر الذى عدته المؤلفة " تأكيد استمرار لواقع محاصرة حرية الرأي والتعبير فى جل مراحل التاريخ الإنساني عامة والعربي بشـــكل خاص " .

وقد واكب التطور فى أشكال التعبير والطبع والنشر " تشريع قوانين عالمية ومحلية، وضعت حواجز لحرية الرأى والاعتقـــاد والانتقـــاد " ، حـــيث " تعرضت العديد من المؤلفات والأعمال ، بـــاختلاف انتمائها التعبـــيري وطرق إنجازها وتلقيها وتواصلها، إلى أحد أشكال المضايقـــات القـــانونية وغير القانونية ، كما خضعت بـــعض هذه المؤلفات والاعمال للمثول أمام المحاكم بعد اتهامها".

ومن نماذج الأعمال الإبداعية التى حوكمت أمام المحكمة كتاب الشـــيخ على عبـــد الرزاق " الإســـلام وأصول الحكم " (صدر ســـنة ١٩٢٥) ، وكتاب مصطفى محمود " الله والإنسان " (صدر عام ١٩٥٦) ، وكتاب

صادق جلال العظم " نقد الفكر الدينى " وقصيدة الشاعر أحمد فؤاد نجم " بيان هام " ، وكتاب سيد القمنى " رب الزمان " وأغنية مارسيل خليفة " أنا يوسف يا ابى " وفيلم " درب الهوي " (١٩٨٦).

وهناك بعض الأعمال التى نجت من المثول أمام المحكمة إلا أنها فشلت فى النأي بنفسها عن سياسات المنع والتضييق، وكمثال على هذه الأعمال كتاب قاسم أمين " تحرير المرأة " (١٨٩٠) ، واطروحة منصور فهمى للدكتوراة " حالة المرأة فى التقاليد الإسلامية وتطوراتها " (١٩١٣) ، وكتاب لويس عوض " العنقاء – أو تاريخ حسن مفتاح " ، وقصيدة نزار قبانى " خبز وحشيش وقمر " ، وكتاب محمد أحمد خلف الله " القصص فى القرآن " (١٩٤٧)، وكتاب خالد محمد خالد " من هنا نبدأ " (١٩٥٠) ، ورواية يوسف إدريس " البيضاء " (١٩٥٩)، وكذلك رواية ادوار الخراط " حيطان عالية " (١٩٥٩) ، ورواية صنع الله إبراهيم " تلك الرائحة " (١٩٦٦)، وكتاب سيد قطب " معالم فى الطريق " (١٩٦٦) ، ورواية الطيب صالح " موسم الهجرة إلى الشمال " (١٩٦٩)، وغير ذلك من الأعمال.

والنمط الغالب فى هذه الأعمال هو انتمائها إلى " الخطاب الآدبى " الذي تصفه المؤلفة بأنه منتج " استطاع استيعاب وتمثل الواقع والتعبير عنه بالكشف عن مظاهر الفشل والقوة ونقد النهج السياسى العربى والنظرة التقديسية للدين، إضافة إلى إبراز الوجه الحقيقى للعلاقة بين الفرد والمؤسسات السياسية والدينية والاجتماعية والقانونية " .

وفى مجال تبريرها لسيادة " الخطاب الأدبي" على ما عداه، وتعرضه أكثر من غيره لمحن التضييق والعسف، تبرز الأكاديمية المغربية طبيعة التحولات التى شهدها العالم العربى والتى انعكست على تنوع وضخامة الإنتاج الفكرى الذى يعبر عن " الذات والواقع " مستخدما أدوات " النقد والمكاشفة واجتراح الواقع بالأسئلة ".

وفى مقابل تنوع الإنتاج الأدبى يقف على النقيض من ذلك قوي مجتمعية وسياسية ترى أن من حقها مراقبة الخطابات الإبداعية ومحاصرتها بواسطة الرقابة المباشرة أو غير المباشرة وتعريضها للمساءلة القضائية، لتصل فى نهاية المطاف إلى حالة راهنة يكتسى صراع الأفراد والمؤسسات ألوانا جديدة لتصل إلى " صدام الأفكار والقضايا والنظريات (الذى) تجسدت صوره بشكل مباشر فى الخطابات الأدبية والفنية والفكرية".

وعبر صفحات " فقه المحاكمات الأدبية والفكرية " تحصر سلاوى أشكال المراقبة (تاريخيا) على العمل المكتوب، التى تبدأ من " إحراق " الشخص المبدع أو كتابه لإرهاب المؤلف والناشر والقارئ على السواء. يليه أنماط الرقابة الوقائية التى تقضى بممارسة الرقابة على الكتب والمنشورات قبل أن ترسل للطبع.

كما تتضمن أشكال الرقابة سلوكيات معينة مثل إرغام أصحاب الفكر المنبوذ على التذكر لأفكارهم، وهناك أيضا فعل المصادرة، وأخيرا الإجراء الوقائى الخاص بمنع إدخال الأعمال الإبداعية حدود الدولة.

والفرق بين الأعمال التى تعرضت قديما للتضييق وبين تلك التى تعرضت فى أزمنة لاحقة هو أن التهم الموجهة للنص الإبداعى تعد مساسا بالحكم او الجهاز الدينى الرسمى كما لو أن الأمر مسألة شخصية، " بينما بات النص فى راهننا يواجه ترسانة من القوانين والتأويلات تؤسس لنقاش قانوني فكري مازال مستمرا أو دائرا حول مثلث الدين ، السياسة والجنس". محاصرة حريات الرأى والتعبير عن طريق القانون الذى يؤسسه بالضرورة إلى محكمة يناط بها الفصل فى الخصومات الناشئة عن الأعمال الإبداعية هو أحد التجليات الحديثة للرقابة .

وتقول المؤلفة إن عملية مساءلة النص قضائيا تنتج ما تسميه " خطاب المحاكمة " الذى يعتمد على عناصر أربعة هى إبلاغ الشخص أو المؤسسة كتابيا عن عمل تراه منافيا للمقدسات (عنصر البلاغ) ثم بعد ذلك نأتى إلى المرحلة التى تتولى فيه جهة ما التحقيق واستجواب المؤلف حول التهم



أحمد فؤاد نجم

(عنصر التحقيق) ، ووفقا لأى نظام قانوني فالمبدع (المجرم) يستحق فى النهاية إلى من يدافع عنه (عنصر المرافعة) ثم أخيرا قرار القاضى المكتوب ورؤيته ما إذا كان العمل الإبداعى المعروض عليه يمثل مساسا بالمقدسات أم لا (عنصر نص الحكم).

وبالدخول إلى هذه المرحلة تتحقق هزيمة مؤقتة للقوى التى تدافع عن حجة أن النقد ينبغى أن يصدر وفقا لالتزام العمل الأدبى أو الفكرى بالمعايير العامة التى تحكم هذا القلب، ومن ثم يبقى أمام المؤلفة البحث عن جدلية " البنية الفكرية للمحاكمات " .

وتحيل هذه البنية إلى تبين الخطوط العريضة لمساحات النزاع الأزلى في الثقافة العربية المعاصرة، بخصوص حدود حرية الرأى والتعبير عامة وفى المجال الأدبي بشكل خاص، ثم طبيعة القوى التى تحاول وضع هذه " الحدود " ، وأخيرا الإجابة عن سؤال وفى حالة تجاوز هذه الحدود، فمن هى المؤسسة أو الفاعل السياسي أو الاجتماعى الذي يحكم بأنه قد تم تجاوز هذه الحرية.

دراسة بعض نماذج المحاكمات الأدبية توضح أنه المتلقى الرافض للنص نصب نفسه حكما يفعل ما يشاء فى قراءة النص الإبداعى ، فيعمد إلى قراءة ذاتية ونسبية ومجزأة ومبتسرة من السياق. يحدث هذا إذا كانت المؤسسة الدينية هى المتلقى فتنظر إلى نفسها كمرجعية دينية تساهم فى إنتاج قراءة النص، أما إذا كانت المؤسسة السياسية (حاكمة أو غير حاكمة) هى المتلقى فإنها تحاول جاهدة وضع حدود تحرم كشفها أو نقدها،

وكمثال على هذا التحقيق مع طه حسين الذي بدأ بموجب خطاب تقديم به شيخ الأزهر عام ١٩٢٦ للنائب العمومي يقول فيه إن كتاب " فى الشعر الجاهلى " يحمل تكذيب صريح للقرآن صراحة وطعن على النبي صلى الله عليه وسلم. ا

لمؤلفة تذكر أن التحقيق الذي أجرته النيابة العامة من خلال مذكرة النيابة العامة أرسى معنى للقراءة التأويلية والسجل كمفهومين للبحث المحاورة والمساءلة وقراءة النص الأصلى (فى الشعر الجاهلى) لفهم وتفسير ما يدعيه الطرفان (الجهة المبلغة والمتهم).

كما أن منهجية النائب فى خطاب التحقيق نحت فى درب مختلف عما يجرى فى جل القضايا المعروضة على النيابة العامة، " إذا يأخذ الاستنطاق صفة سلطوية اتهامية تقوم على لا تكافؤ المستويات بين المتخاطبين، بين المتكلم (المحقق) من ناحية وبين المخاطب (المتهم) من ناحية ثانية".

وخلافا للنيابة العامة فى حال التحقيق مع طه حسين والتى عكست مناخ التنوير الذى كانت تحياه مصر فى عشرينيات القرن الماضى، يأتى التحقيق مع أحمد فؤاد نجم (بعد نصف قرن من تحقيق طه حسين) ليلقى الضوء على التحولات الثقافية التى شهدتها مصر .

ففى ١٩٧٤ جرى اتهام نجم فى القضية المشهورة بأسم " نيكسون بابا " بسبب قصيدته (اللى حصل فى الحواصل) بإنضمامه إلى اليسار والشيوعية وتناول المخدرات والتحريض على قلب النظام .

فعلى العكس من خطاب التحقيق مع طه حسين ، يتخذ التحقيق مع نجم " شكلا عموديا " بحيث يمارس المحقق سلطته الاستنطاقية على المخاطب (المتهم)، ويقرأ قصيدة الشاعر على أنها " وثيقة تقريرية " تسطح المعنى وتجزئه.

الخلاصة التى تطرحها الكاتبة من خلال محاكمات الفكر والأدب تعكس تكاتف مباشرة، وغير مباشر بين مؤسسات وقوى مختلفة لإجهاض حرية الرأى والتعبير فى عدد من الدول العربية وتعريض أشكال تعبيرية مختلفة لأنواع من المحن، من خلال دعم المؤسسة القضائية لأنواع التهم الموجهة لنصوص المبدعين والمفكرين بدعوى الحفاظ على الأمن والاستقرار والقيم".



سيد قطب فى رسم متخيل لما قبل إعدامه